

تاریخ القدس

المعروف

بيت المقدس اور شہزادہ



BOOK CODE: 999839510

AUTHOR :

I.S.B.N:

PUBL.:

PRICE: 13000

تاریخ القدس المعروف بتاریخ اور شہزادہ
ذلیل قرطبی

مکتبہ الثقافة الدینیہ

YEAR 2001 SUB_COD 100

تألیف
عبدالمجید قرطبی

دار الفکر

الناشر

مکتبہ الثقافة الدینیہ

تاريخ القدس

المعروف

بنائنا وأرضنا

تأليف

خليل سكريس

طبعة منقحة وجديدة

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

مكتبة الاسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٢٦٢٧٧

رقم التسجيل ٧٢ ٢٩٥

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
مكتبة الثقافة الدينية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وبعد :

اليهود مشكلة كل العصور ، والتاريخ ملئ بالعديد والعديد من المشاكل على مر أحقاب الزمان ، وأيضاً القدس أصبحت نقطة الصراعات بين العرب واليهود فكل طرف يقول أنها ملكه منذ خلق البشر، والعجيب أن اليهود قد حرفوا وزورا في التاريخ القديم بحجة ترجمتهم للتوراة والإنجيل ، وللأسف الآن يصدقون بعض الأمم والشعوب كلام اليهود.

فلهذا حرصت مكتبة الثقافة الدينية على تقديم عملاً جديداً يستحق القراءة والرد عليه وهو كتاب «تاريخ القدس الشريف» المعروف بتاريخ أورشليم للمؤلف خليل بن خطار سرقيس ، صحافي مولده في عبيه (بلبنان) سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م ووفاته ببيروت سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م ، أصدر جريدة «لسان الحال» يومية في بيروت،

مدة ٣٨ عاماً . وله كتب ومصنفات منها « العادات » و « سلاسل
القراءة » ستة أجزاء ، و « رحلة الآستانة وأوروبا وأمريكا » و « أستاذ
الطباخين » وروايات، والكتاب الذى بين أيدينا ، وعنى بإصلاح الطباعة
وتجميلها فكان أول من صنع « أمهات » الحروف الفارسي .

فالكتاب «تاريخ القدس الشريف» يلقى الضوء على تاريخ اليهود
منذ الوجود حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وهناك بعض الإسرائيليات فى هذا
الكتاب لنقل المؤلف بعض النصوص من كتب المستشرقين الأجانب اليهود
ومع ذلك فالكتاب فى غاية الأهمية حيث يتناول بعض فترات اليهود وموقف
الحكام منهم بطريقة تاريخية هامة ، وهناك نقطة هامة وهى اختلاف المصادر
والمراجع فى أسماء ملوك اليهود على مر التاريخ . وقد تم طبع هذا الكتاب أول
مرة سنة ١٨٧٤ م ببيروت ، وأتمنى من الله أن ينال هذا العمل رضا الله
والمسلمين والله خير معين .

الناشر

١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م

مَهْدٌ

لما كان كثيرون يرغبون في الوقوف على حقائق تاريخ مدينة القدس الشريف لما لها من عظم الأهمية الدينية والتاريخية ولم يكن لها تاريخ خاص بها بين الكتب العربية أخذت منذ مدة في بذل مدة الجهد في جمع تاريخ لها يتضمن كل ما جرى فيها منذ أقدم عهد عرفت فيه إلى الآن وبعونه تعالى قد تيسر لي ذلك فجاء طبق المرام وقد أسندت كل كلامي إلى أقوال معمول على صحتها مأخوذة من الكتب الدينية والكتب التاريخية المتضمنة شيئاً من أخبار هذه المدينة الشهيرة التي كانت مدة طويلة من الأعصر القديمة أعظم مدينة في العالم.

هذا ولما تم تأليف هذا نقلاً عن أصح المؤلفات بهذا الشأن أخذت في مراجعته ومقابلته على التأليف التي نقلته عنها حذراً من الخطأ وأعتيت بذلك اعتناء تاماً راجياً أن يكون كتاباً مفيداً نافعاً لأبناء الوطن ولغيرهم من الذين يحبون أن يطالعوا التواريخ الشرقية وعلى الخصوص تاريخ هذه المدينة التي أكتسبت في البلاد الأوروبية أعظم أهمية فأخذ السياح والزوار من كل قطر وناد يتهافتون إليها ليتحققوا حوادثها التاريخية بواسطة آثارها الباقية وغيرها. وأرجو أصحاب

الخبرة والمعرفة أن يسبلوا ستر المَعذرة

فجل من لا يغلط

والعصمة لله

مَقَلَمَةٌ

فِي مَرْكَزِ أُورُشَلِيمَ الْجُغْرَافِي

أن هذه المدينة من أقدم مدن العالم على ما يظن غير أنه لا يعرف وقت تأسيسها وأول ما ذكر عنها ملاقة ملكيصادق ملكها لإبراهيم الخليل حين كان راجعاً من كسرة الملوك ^(١) وكانت تعرف وقتئذٍ بمدينة ساليم أى مدينة السلام فيكون أول مرة ذكرت في التواريخ سنة ١٩١٣ قبل المسيح وذكرت ثانية في المُرِّيَّا سنة ١٨٧٣ قبل المسيح إذ أمر الله إبراهيم أن يقدم بنه ذبيحةً هناك ويُظَن ذلك على الصخرة التي أمست الآن داخل الحرم الشريف ^(٢) وهذه المدينة مبنية على أربعة جبال وهي : صهيون . ومُرِّيَّا . واكرا . وبزيثا .

(١) كَدَرُ لَعُومَرَ ملك عيلام وتَدِغَال ملك جويم وأمر فال ملك شِنغار واربوك ملك الأسر . سفر التكوين ١٤ : ٩ .

(جويم) : كلمة عبرية معناها الحيوانات أى كل ممن غير اليهود .

(٢) وهي صخرة كبيرة في جبل مُرِّيَّا محبظها نحو أربعين ذراعاً وعلى ما يظن إن إبراهيم الخليل أعد الخطب عليها ليقدم أبنة إسحق ذبيحة لله وبعد أن نهاه الله عن ذلك قدم عليها ذبيحة كبشاً أرسله الله له .

إسماعيل هو الذبيح وليس إسحاق والذبح في مكة المكرمة .

ويحيط بها أودية غلاً من شمالها ومايليه إلى الغرب . فإلى الجنوب وادى
ابن هينوم وإلى الشرق وادى قدرون وهو وادى يهو شافاط وهناك بستان
الجسمانية وبقربه بركة سلوام وقرية يقال لها أيضاً سلوام . وفى شرقى المدينة
جبل الزيتون الذى صعد منه السيد المسيح إلى السماء وقرية بيت عنيا
وتسمى الآن العازرية وبها القبر الذى أقام منه السيد المسيح لعازر من الموت
وفى جنوبها الغربى بيت لحم وهى القرية التى ولد المسيح فيها وهى تبعد عنها
ساعتين وإلى جنوبى القدس على بعد ٣٠ ميلاً الخليل وعن بعد ٣٣ ميلاً
البحر و ١٨ ميلاً الأردن و ٣٦ ميلاً السامرة ولا حاجة للتفصيل أكثر مما ذكر
إذ أن فى ما مر تمهيداً كافياً .



الفصل الأول

يحتوى على مدة دخول إبراهيم الخليل

أورشليم ودخول الإسرائيليين إليها

تحت قيادة

يشوع بن نون إلى ملك داود

أن هذه المدينة كانت أولاً تحت حكم ملك ساليـم كما ذكرنا في المقدمة وذلك سنة ١٩١٣ قبل التاريخ المسيحى وعُرف ذلك من دخول إبراهيم إليها سنة ١٨٧٣ ومن ثم لا نعرف شيئاً عنها إلى أن دخلها الإسرائيليون وذلك سنة ١٤٥١ قبل الميلاد وعُرف وقتئذ أنها مدينة لليبوسيين وهم قبيلة من قبائل الكنعانيين .

وإذ كانت هذه المدينة مختارة من الله لغايات معروفة وعَدَ شعبه إسرائيل بها مع بقية أرض كنعان . فقدم إليها شعب إسرائيل الذى كان وقتئذٍ فى مصر تحت قيادة موسى النـبى ولكن لتمرد الشعب على الله ومخالفتهم وصاياه غضب عليهم وأقسم أن لا يدخلها أحد من جميع الذين خرجوا من

مصر وعددهم أكثر من ستمائة ألف رجل إلا يشوع بن نون وكالب بن يفتة وذلك لأنهما وجدا أمنيين حين أرسلهما موسى النبي ليتجسّسا أرض كنعان.

وسنة ١٤٥١ بينما كان شعب إسرائيل يتقدم في أرض كنعان نحو اورشليم سمع أدوني صادق ملك اورشليم فخاف جداً وأرسل إلى هوهام ملك حبرون وفيرام ملك يرموث ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون وطلب معونتهم على ضرب جبعون لأنها صالحت يشوع بن نون قائد جيوش إسرائيل. فأجابوا طلبه وذهب خمسة ملوك الأمور بين فلما بلغ أهل جبعون ذلك طلبوا مساعدة يشوع. فأجاب طلبهم بأمر الله وأتى لمحاربة الملوك الخمسة بغتة فكسرهم كسرة عظيمة فأختبأوا في مغارة في مقيدة وإذا بلغ يشوع ذلك أمر بسد فم المغارة إلى حين وسار لمقاتلة جيوشهم فقتل منهم عدداً غفيراً ولم يبق منهم إلا القليلين الذين التجأوا إلى الحصون وحينئذ أمر يشوع بفتح المغارة وإخراج الملوك وأمر قواد حربه أن يدوسوا أعناقهم. ثم علقوهم على أخشاب إلى المساء ثم طرحوهم في المغارة التي أختبأوا بها وسدوا بابها حجارة عظيمة وهكذا هلك ملك اورشليم.

ثم في ١٤٤٤ ق م تقدم بنود يهوذا وبنيامين (من شعب إسرائيل) وحاربوا اورشليم فأمتلكوا الجهة السفلى منها وسكنوا مع اليبوسيين ووضعوا الخيمة التي فيها تابوت العهد والمذبح والمنارة في جبل المريا وتم ذلك بإرادة كالب بن يفتة الذي وكله يشوع بن نون.

وسنة ١٤٣٥ ق م صعد يهوذا قائد جيوش إسرائيل بعد يشوع
لمحاربة الكنعانيين فضربوا أدوني بازق في بازق مدينته وأخذوه أسيراً ثم قطعوا
أباهم يديه ورجليه وكان هذا الملك قد فعل بسبعين ملكاً كما فعل به فحصد
ما زرع ثم مات في أورشليم .

وفي تلك السنة حارب بنو يهوذا أورشليم ثانية فأمتلكوها وضربوا
سكانها بحد السيف وحرقوا المدينة بالنار . وإذ كانت هذه المدينة من قسم بنى
بنيامين سكن هؤلاء مع اليبوسيين إلى أن طردهم داود النبي كما سيأتى .

وسنة ١٠٤٨ ق م دخل إليها الملك داود النبي وطرد اليبوسيين
الذين كانوا يسكنون صهيون وباشروا ببناء بيت لهُ بمساعدة حيرام ملك صور
الذى أرسل لهُ خشب أرز وبنائين وجعلها عاصمة مملكته عوضاً عن شكيم
التي تدعى الآن نابلس وبقي ملكاً فيها ٣٣ سنة على إسرائيل ويهوذا وولد
لهُ أولاد وهم شمعون وشوباب وناتان وسليمان .



الفصل الثانى

يحتوى على مدة ملك داود وسليمان أبنيه وكلما
جرى لهما من الحوادث والحروب فى اورشليم

ولما خضعت تلك الأراضى لداود النبى أدخل إلى المدينة تابوت العهد
الذى سار أمام بنى إسرائيل إلى أرض كنعان وذلك سنة ١٠٤٣ ق م ،^(١)
وفى هذه السنة : ضرب داود ملك أورشليم الفلسطينيين وكسرههم وإذلهم
وضرب الموابيين أيضاً وحارب هدر عزر فأتى لنجدته أرام دمشق فكسرها
وشتت شملهما .

وفى سنة : ١٠٣٧ ق م مات ناحاش ملك بنى عمون وملك ابنه
حانون عوضاً عنه فأرسل داود الملك رسلاً يعزونه فلما وصلوا قال عبيد
حانون له : لا يغرنك داود فإنه لم يرسل رسلاً ليعزوك بل ليتجسسوا الأرض
فخلق حانون حينئذ أنصاف لحاهم وشق ثيابهم من الوسط ثم أطلقهم ولما بلغ
دواد ذلك غضب ونهض لقتال بنى عمون .

(١) ٣ صموئيل ٦ : ١٢ .

أما بنو عمون فأستاجروا من يجاورهم من الأبطال وتقدموا لمحاربة إسرائيل فالتقاهم الإسرائيليون تحت قيادة يواب ابن صرويا وأخيه ابيشاي فضرباهم وكسراهم ورجعا بجيوشهما إلى أورشليم .

وسنة ١٠٣٦ ق م اجتمع العمونيون ثانية وانضموا إلى قبائل أخرى وتقدموا لمحاربة إسرائيل فجمع داود الملك جنوده وضربهم في عبر الأردن وكسرهم وقتل منهم سبعمائة مركبة ^(١) ، وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشهم فمات هناك .

وسنة ١٠٣٥ ق م أرسل داود الملك يواب قائد جيشه فحاصر بنة بني عمون وأخذها بعد حرب دامت نحو سنتين ورجعوا إلى أورشليم .

وسنة ١٠٣٣ ق م جاهر ابشالوم بن داود بالعصيان على أبيه واسرق قلب الشعب ودخل بجيشه إلى أورشليم، أما داود ففر من وجهه مع رجاله وعبر الأردن ثم رتب جيوشه وتقدم لمحاربة جيش ابشالوم فانتصر عليه وقتل من الفريقين ٣٠ ألفاً من جملتهم ابشالوم ورجع الملك إلى أورشليم .

وسنة ١٠٣١ ق م حدثت حروب كثيرة بين داود والفلسطينيين وكان النصر لها لداود .

وسنة ١٠١٧ قبل المسيح أمر داود النبي يواب أن يحصى عدد شعبه فطاف تسعة أشهر وعشرين يوماً ورجع إلى أورشليم وكان عدد الشعب ثمانمائة ألف رجل من إسرائيل ومن يهوذا خمسمائة ألف فمات منهم عدد كثير وحينئذ أمر ملاك الرب جاد النبي بأن يقول للملك داود أن يقيم مذبحاً في

(١) ٣ صموئيل ١٠ : ١٨ .

بيدر أرنان اليوسى فكان كذلك وبني داود مذبحاً للرب وأصعد محرقات ودعا الرب فاستجاب له وأرسل ناراً من السماء على مذبح المحرقة وصفح الله لداود وأمر ملائكته أن يكف عن القتل . فكان عدد من قتل من الشعب سبعين ألف رجل.

وسنة ١٠١٥ ق م توفى داود الملك وخلفه في الملك ابنه سليمان وكان ملكاً حكيماً فطناً ذا سطوة وثروة عظيمتين وهو الذى بنى هيكل اورشليم المشهور فأنفق عليه أموالاً جزيلة وأتى له بختشب من لبنان بمساعدة حيرام ملك صور وزين الهيكل بالنقوش المغشاة بالذهب وكانت قيمة الذهب فى اورشليم فى أيامه كالتراب وكان الأبتداء فى بنائه سنة ١٠١٣ ق م وانتهاء بنائه سنة ١٠٠٤ ق م وفى هذه المدة أدخل تابوت العهد إلى الهيكل.

وسنة ١٠١٤ ق م تزوج سليمان الحكيم بابنه فرعون ملك مصر وتزوج بنساء كثيرات غيرها بلغ عددهن ألف امرأة وقد أجمع جميع المؤرخين على أنه هو الذى بنى مدينتى بعلبك وتدمر وكانت مدة ملكه أربعين سنة .

وفى هذه المدة كانت صداقة جارية بين سليمان ملك إسرائيل وحيرام ملك صور الذى أرسل له فعلة كثيرين حينما كان يبنى بيته والهيكل .

وسنة ٩٩٣ قبل المسيح أتت ملكة سبأ على اورشليم بموكب عظيم وهدايا فاخرة وسرت بما شاهدت من حكمة سليمان وحسن إدارته وقالت له

أننى لم أسمع بنصف ما شاهدت فطوبى لرجالك ولعبيدك الواقفين أمامك دائماً
السامعين حكمتك وبعد أن أعطته مائة وعشرين وزنه ذهب وأطباء كثيرة
وحجارة كريمة رجعت إلى أرضها .

وسنة ٩٨٠ ق م بينما كان يربعام بن ناباط خارجاً من أورشليم للاقاه
النبي أخيا الشيلونى وقال له أنه سيملك على أسباط إسرائيل خلاً سبطى يهوذا
وبنيامين اللذين يبقيان لنسل سليمان فلما عرف سليمان بذلك طلب قتل
بريعام ففر من أمامه إلى مصر والتجأ بشيشق ملكها ولم يرجع حتى مات
سليمان .



الفصل الثالث

حالة أورشليم

من ملك رحبعام إلى ملك حزقيا

وسنة ٩٧١ ق م أتى شيشق ملك مصر إلى أورشليم وحاربها بألف ومائتي مركبة وستين ألف فارس وشعب عظيم وكان ملكها حينئذ رحبعام بن سليمان فانتصر عليها وغلبها ونهب خزائن بيت المقدس وبيت الملك وأموالاً كثيرة .

وفي تلك الأيام كانت حروب طويلة بين ملك إسرائيل وملك أورشليم وكانت الغلبة سجلاً تارة لهذا وطوراً لذلك .

أما بداية ملك رحبعام فكانت سنة ٩٧٥ قبل المسيح وكان عمره حين ملك ٤١ سنة ومات سنة ٩٥٨ ق م وخلفه في الملك ابيام ابنه وملك ثلاث سنين في أورشليم ولم يحسن السيرة وكانت كل أيامه حرباً مع بريعام .

وسنة ٩٥٥ ق م بعد أن توفي ابيام ملك آسا على أورشليم ٤١ سنة وكان مستقيماً أمام آله وأرسل في مدة ملكه إلى بنهدد بن طبريمون

ملك دمشق وطلب إليه أن يعينه على محاربة ملك إسرائيل فأرسل فرساناً وضربوا لإسرائيل فأهزم ملك إسرائيل أمام آسا .

وسنة ٩١٤ ق . م توفي آسا وملك ابنه يهوشافاط عوضاً عنه سنة ٨٩٣ ق . م ملك يهورام على أورشليم .

وسنة ٨٨٥ ق . م ملك أخزيا وذهب مع يورام بن اخاب ملك إسرائيل لمقاتلة أرام وفي مدة حربه مع ارام صار مسح ياهوين يهوشافاط بن نمشى ملكاً وهو الذى ضرب يورام فهرب إلى قرية مجدو ومات هناك فنقله عبده إلى أورشليم ودفنوه في قبر آبائه .

ولما ملك ياهو قتل سبعين من أولاد اخاب واثنين وأربعين من أخوة أخزيا وقتل أيضاً أنبياء البعل .

وسنة ٨٤٤ ق . م مات ياهوو ملك ابنه يهواحاز عوضاً عنه .

وسنة ٨٤٠ ق . م قبل الميلاد أتى حزائيل ملك أرام إلى أورشليم ليحاربها فأخذ يهو آش جميع انية الذهب من الهيكل ومن بيته وأعطاهما لحزائيل .

ولما مات جزائيل وملك ابنه بنهدد قام يهواش وحاربة وأخذ كل القرى التى كان قد أخذها من إسرائيل فرجع عنه .

وفي هذه السنة : إذ كان زكريا بن يهوياذا الكاهن يوبخ شعب إسرائيل على تركهم الله وعبادتهم الأصنام قام كل الشعب عليه ورجموه بالحجارة بأمر يواش الملك في دار الهيكل .

وسنة ٨٣٩ ق . م قام على يواش أثنان من عبيده وقتلاه وملك ابنه امصيا مكانه على يهوذا .

وسنة ٨٣٦ ق . م قام يواش ملك إسرائيل وحارب امصيا وأخذ المدينة وهدم أكثر سورها وأخذ ما وجد في الهيكل من المال ولما تثبت ملكه قتل عبد يه الذين قتلوا آياه . وحدثت فتنة في أورشليم فطلب الشعب قتل امصيا فهرب إلى خيش فتبعوه إلى هناك وقتلوه .

وفي هذه السنة : بعد موته قام شعب يهوذا وأخذوا عزيزاً ابنه وملكوه عليهم وهو ابن ست عشرة سنة وكان مستقيماً عادلاً كأبيه وفي مدة ملكه حارب الفلسطينيين وقهرهم وهدم سور جت وسور بينة وسور أشدود وبني مدناً في أرض أشدود وقهر العرب والمعنون وبني أبراجاً في أورشليم وفي البرية وحفر آباراً وكانت جيوش الحرب في أيامه منظمة مع العدد الحربية الجيدة التي عملها .

وسنة ٧٦٥ ق . م إذ كان قد خان الهه باصطناعه مذبحاً غريباً وتقديمه بخوراً عليه ضربه الله بالبرص ولم يزل أبرص إلى أن مات بعد أن ملك اثنين وخمسين سنة .

وفي سنة ٧٥٨ ق م موته ملك يوثام ابنه وكان ملكاً شجاعاً مستقيماً
وقد بنى مدناً في جبل يهوذا وبني في الغابات قلعاً وأبراجاً وحارب العمونيين
وغلبهم فأعطوه مائة وزنة من الفضة وعشرة آلاف كرمح ومثله من الشعر
وذلك على مدة ثلاث سنوات . وكان من الأنبياء في مدة ملكه وملك احاز
وحزقيا (أي من سنة ٧٥٩ ق م إلى سنة ٧٠٠ ق م) اشعيا النبي بن
اموص وقد تنبأ نحو ٧٠ سنة .

وسنة ٧٤٣ ق م كان رصين ملك ارام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل
ياتيان ويضايقان يهوذا .

وفيها : ملك احاز بن يوثام وفي مدة ملكه أتى ملك ارام وملك
إسرائيل وحاربا احاز ولم يقدر ا عليه حينئذ أرسل بتدليل لتغلت فلا صر ملك
أشور طالباً إليه أن يخلصه من ملك ارام وملك إسرائيل وأهداه الذهب الذي
كان في الهيكل وفي بيته فسمع له وأتى بجيش عظيم وأخذ دمشق وقتل ملكها
ومات احاز سنة ٧٢٦ ق م وملك حزقيا ابنه عوضاً عنه .



الفصل الرابع

حالة أورشليم

فى مدة حروبها مع ملوك آشور وتسلطهم عليها

وسنة ٧٣٠ ق م أتى شلمنا صرملك آشور وحارب إسرائيل وسباهم إلى أرضه وأتى ملك آشور بقوم من بابل واسكنهم فى مدن إسرائيل عوضاً عنهم فأغاظ ذلك آله إسرائيل فأرسل عليهم السباع فكانت تفترس منهم وإذا بلغ ملك آشور ذلك أرسل كاهناً من مسيى إسرائيل ليعلمهم شريعة الله فأردت السباع عنهم وهذا كان أصل السامريين .

أما حزقيا بن احاز فحكم بالعدل وكان مستقيماً أمام آلهة وسحق الحية النحاسية ^(١) التى عملها موسى ^(٢) لأن إسرائيل مال إلى عبادتها .

وسنة ٧٣٣ ق م صعد شلمنا صر ملك آشور على إسرائيل وحاربهم إلى سنة ٧٣١ ق م إذ أخذ الأرض وسبى شعبها ثانية .

(١) سفر الملوك الثانى ص ١٨ : ٤ .

(٢) سفر العدد ص ٣١ من عدد ٦ إلى ٩ .

وسنة ٧١٣ ق م صعد سنحاريب ملك آشور على مدن يهوذا وأخذها فأرسل حزقيا يتذلل لملك آشور قائلاً له أرجع عني فأفعل كل ما تطلبه مني فطلب منه ٣٠٠ وزنة فضة و ٣٠ وزنة ذهب فالتزم لدفع ذلك أن يعطيه ذهب الهيكل وبيته وإذ لم يكف قشر الذهب عن أعمدة الهيكل وأبوابه .

وسنة ٧١٠ ق م أتى ملك آشور أورشليم وأرسل ثلاثة من قواده إلى الملك ليخاطبوه ولما قربوا إلى المدينة طلبوا حزقيا الملك فأرسل لهم ثلاثة من حشمه فأهان رسل ملك آشور رسل حزقيا بالكلام وبالتعير لاله إسرائيل ومملكه وشعبه فتذلل حزقيا أمام أله فاستجاب له وأرسل ملاكة وضرب من الآشوريين ٨٥ ألفاً في الليل ولما أصبح الصباح ورأى ملك آشور ذلك ارتد راجياً إلى بلاده مهزوماً مقهوراً لاله قتل ابنه وهربا إلى أرمينية وملك اسرحدون ابنه عوضاً عنه .

وأما حزقيا ملك أورشليم فكان ذا ثروة عظيمة وعمل لنفسه خزائن للفضة والذهب والحجارة الكريمة والاطياب والاتراس ومخازن للحنطة والزبيب واوارى لكل أنواع البهايم وهو الذى سد مخرج مياه جيحون الأعلى وأجراها تحت الأرض إلى أورشليم ولم يزل إلى الآن فى أورشليم بركة تدعى حزقيا .

ومات سنة ٦٩٨ ق م وملك منسى ابنه مكانه ولم يكن مستقيماً كأبيه سنة ٦٤٣ ق م وملك آمون ابنه عوضاً عنه واتفق عبيده على قتلوه

فقتلوه ومملك يوشيا ابنه عوضاً عنه وذلك سنة ٦٤١ ق م وكان يوشيا صالحاً ومستقيماً وهو الذى رمم هيكل اورشليم بعد أن كان قد تخرب بسبب حروب ملك آشور وأزال العبادة الباطلة من اورشليم ويهوذا وأباد السحرة والعرافين من بلاده وذبح كهنة المرتفعات وحرق عظامهم .

وسنة ٦١٠ ق م صعد فرعون نخو ملك مصر لمحاربة آشور فصعد يوشيا لملاقاته إلى مجد فلما رآه فرعون قال له أرجع عنى ليس إليك جئت فلم يسمع له يوشيا فضربه بسهم فى الترقوة وقتله فأرجعه عبيده إلى اورشليم ودفنوه وملكوا يهوذا ابنه عوضاً عنه . ثم أسره فرعون نخو الذى قتل أباه وغرم الأرض بمائة وزنة فضة ووزنة ذهب ومملك الياقيم بن يوشيا عوضاً عن أبيه الذى قتله وغير اسمه إلى يهوياقيم .



الفصل الخامس

حالة أورشليم

فى مدة حروبها مع ملوك بابل ودخلوها

تحت سلطانهم وتسلط ملوك مادي وفارس عليها



وفى أيام يهوياقيم صعد نبوخذ ناصر ملك بابل إلى أورشليم فتعبد له يهوياقيم ثلاث سنين وكان ردئ السيرة فمات وملك يهوياكين ابنه عوضاً عنه.

وسنة ٥٩٩ ق م أرسل نبوخذ ناصر ملك بابل قوماً إلى أورشليم فحاصروها ثم أتى بنفسه فخرج يهوياكين الملك وأمه وحشمة مسلمين لملك بابل فسباهم وأخذهم إلى بابل مع جميع عظماء إسرائيل ولم يبق في أورشليم إلا المساكين والفقراء ثم أقام عليهم ملكاً متتابع يهوياكين الذى غير اسمه إلى صدقيا ورجع مع السبايا إلى أرضه وبقي صدقيا خاضعاً له سنة ٥٩٣ ق م ومن ثم عصى عليه إلى سنة ٥٩٠ ق م.

وفى هذه السنة : إذ كانت المدينة محصنة تحصيناً منيعاً أتى نبوخذ ناصر الملك وكل جيشه لمحاربتها وبنى أبراجاً حولها وشدد عليها الحصار فدام إلى سنة ٥٨٨ ق م وحينئذ إذا اشتد الجوع فى المدينة ثغر الملك ورجال الحرب

ليلاً سورها وطلبوا النجاة فطلبهم الكلدانيون وأدركوا الملك في بركة اريحا وأخذوه إلى ملك بابل المقيم في ربلة فقتلوا بنيه أمامه وقلعوا عينيه وقيدوه بالسلاسل وأخذوه إلى بابل.

ثم دخل رئيس جيوش ملك بابل إلى اورشليم وحرق الهيكل وكل المدينة وهدم أسوارها وسبى شعبها وأخذ كل ما يؤخذ إلى بابل من الذهب إلى النحاس .

وسنة ٥٣٦ قبل الميلاد عند تملك كورش^(١) مملكة فارس مع داريوس المادى خاله أمر شعب إسرائيل أن يرجعوا إلى أرض كنعان وبينوا الهيكل الذى كان قد هدمه جيش نبوخذ ناصر ملك بابل وأرجع أنية الذهب التى سلبها نبوخذ ناصر فرجع نحو ٥٠ ألفاً تحت قيادة زربابل بن شألتيئيل الذى ولّاه ملك بابل على يهوذا وشرعوا فى بناء السور والهيكل سنة ٥٣٥ قبل الميلاد.

ولما كانوا يشتغلون صدّ ثم سنبط وسكان البلاد من الأمم الذين اسكنهم نبوخذ ناصر الملك أرض إسرائيل وكتبوا إلى ارتخشستا الملك فى سنة ٥٣٣ ق م يخبرونه أن اليهود الذين صعدوا من عندك قد أتوا اورشليم وبنوا أسوارها وهيكلها وعن قريب يعصون أوامرك فأرسل ارتخشستا إلى ولاته فى أرض إسرائيل يأمرهم أن يصدّوا اليهود عن العمل ولما أخبروهم بأمر الملك

(١) وهو الذى أخضع مملكة بابل كلها مع سورية وفلسطين إلى ملوك الفرس بعد أن قتل بلشاصر حفيد نبوخذ ناصر الذى خرب اورشليم وسبى شعبها.

أجابوا أنسنا لم نبيه إلا بأمر كورش ملك فارس وهو أعطانا الأنية التي سبها نبوخذ ناصر وقد أمر أن تعطى النفقة من خزينته فأخبر الولاة بذلك داريوس الملك الذى قد تولى مملكة الفرس بعد أرتخشستا فأمر أن يراجع كتاب أخبار الملوك لعله يرى صحة ذلك فوجد كما قال شعب اليهود وحينئذ أمر ببناء أورشليم وبأن تعطى النفقة من جزية عبر النهر^(١) وذلك سنة ٥١٩ ق م وأصدر ملك بابل أمراً بأن كل من يقاوم بناء هيكل أورشليم تؤخذ خشبة من بيته ويُصلب عليها ويكون بيته مزبلة وهكذا كان يبنى هيكل أورشليم وأسوارها .

وفى هذه السنة : إذ كان العمل سائراً بنجاح كلى وكان قد سمع سنبلط وطوبيا والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رمت غضبوا وعزموا على أن يأتوا ويحاربوها فلما سمع شعب إسرائيل ذلك خافوا واستعدوا للدفاع فكان نصفهم يشتغل والنصف الآخر يحمل السلاح للمدافعة وإذا علموا أن شعب أورشليم عرف بذلك عدلوا عن عزمهم وهكذا تم تدشين الهيكل الثانى سنة ٥١٥ ق م فمر عليهم أكثر من عشرين سنة قبل ترميم الهيكل ومائة سنة قبل تنميم السور وقد أنقضت ملوك يهوذا الذين كان مقر حكمهم أورشليم وعددهم تسعة عشر ملكاً أولهم رحبعام بن سليمان وأخبرهم صدقيا بن يوشيا وقد سبى الفرس أورشليم ثلاث مرار من يد ملوك مملكة يهوذا

(١) أى من السامريين وهم سكان أرض إسرائيل الغرباء الذين أتى بهم ملك آشور من بابل وأسكنهم عوض شعب إسرائيل حينما سبوا إلى بابل كما تقدم .

الذين استقام ملكهم ٣٨٧ سنة بعد انفصالها عن بقية إسرائيل ^(١) وكان انقراضها سنة ٥٨٨ ق م .

وسنة ٤٥٧ ق م صدر أمر من ارتخشستا ملك فارس إلى عزرا الكاهن أن يرجع من بابل إلى اورشليم هو وكل من أراد الرجوع من المسيبين وفوض عزرا بأن يقيم ولاية وقضاة حسب معرفته وإلهام الله .

فرجع عزرا مع من رجع معه وعند وصولهم إلى اورشليم باشر في إصلاح حال الإسرائيليين بمساعدة شكينا بن يحييل وقطعا عهداً مع أهم بأن يطلقوا النساء اللواتي اتخذوها لأنفسهم من غير شعب إسرائيل وهكذا أخرجوا كل النساء الغريات مع الأولاد الذين ولدوا منهن وارجعا الشعب إلى الله .

وسنة ٤٤٥ ق م أتى نحميا بن حكليا بأمر ارتخشستا ملك فارس وتولى على اورشليم وشرع في بناء أسوارها التي كانت لم تنزل بعد مهدومة . وبعد وفاته لم يعين ملك فارس والياً مخصوصاً على اورشليم لأن اليهودية صارت بعد ذلك جزءاً من ولاية الشام فكان الخبر العظيم يمارس الأمور السياسية والدينية معاً من قبل والى الشام وبقي ذلك إلى أن دخلت اورشليم ومايلها في طاعة الملك إسكندر المكدوني .



(١) كان الأثنا عشر سبطاً خاضعين لملك إسرائيل الذي كان كرسية في اورشليم وبقي ذلك إلى أن أغاظوا الله بعبادتهم الألهة الغريبة فأنقسمت مملكة إسرائيل إلى قسمين كما قال النبي أخيا الشيلوني وقد ملك على سبطي يهوذا وبنيامين رحبعام بن سليمان وعلى العشرة الأسباط الباقية ملك بريعام بن نباط وبذلك حدث هذا الانقسام، راجع سفر الملوك الأول الأصحاح الحادى عشر .

الفصل السادس

حالة أورشليم

فى مدة تسلط إسكندر الكير عليها

وسنة ٣٣٢ ق م أتى اسكندر المكدونى ^(١) قاصداً آسيا لمحاربة الفرس

(١) هو إسكندر بن فيليبس المكدونى وأمه أولبيا وهو الملقب بالكبير عند الأفرنج وبذى القرنين عند العرب ولد فى بلا سنة ٣٥٦ ق م ، ولما بلغ سن ١٦ سنة حكم البلاد بمدة غياب أبيه الذى كان يحاصر بيزانسا وملك على مكدونية وهو ابن عشرين سنة، وقد تعلم عن أبيه وعن أرسطوطاليس وكان محباً لمطالعة كتب الحماسة وقد قال لبعض ندمائه وقتاً ما وهو متنفس الصعداء أن أبى تغلب على جميع البلدان ولم يبق لى ما أتغلب عليه وبعد موت أبيه ألقى الرعب فى قلوب الجميع وكان كريماً وقد بذل ما عنده من الأموال على كبار عسكريه وإذ سأله أحدهم قائلاً أى شىء ابقىيت لك أجاب الرجاء ولما قدم لفتح آسيا أتى باهبة شهر واحد واثقاً بقوته وسعده وعند فتحه الحرب مع داريوس قدمانوس ذهب بنفسه هيئة رسول من إسكندر ونجا من الهلاك بعد أن حافه الخطر ثم تغلب عليه ففر داريوس ملتجئاً إلى ما وراء نهر الفرات ووقعت أمراته وابنتاه وأمه فى يد اسكندر فأكرمهن إكراماً لائقاً بهن وحاصر مدينة صور التى كانت قسمين أحدهما فى البر والآخر فى البحر وكانت على جانب عظيم من المتانة فبعد جهاد عظيم أخذ الجانب الذى فى البر وبقي عليه الجزيرة التى تبعد عن البر نصف ميل فأمر جنوده أن ينقلوا كل الردم والآثار ليصل البر فى البر فكان كما أمر وأخذ المدينة بعد حصار سبعة أشهر وسلمها للنهب والحرق وقتل نحو ثمانين ألفاً من أهلها وباع نحو ثلاثين ألف أسير وبعد أن أخذ صور توجه نحو أورشليم وجرى له مع يدوع الخبر ما سيذكر فى محله ثم استفتح غزة وقتل من أهلها =

الفصل السابع

حالة أورشليم

بعد موت إسكندر وتسلط

ملوك الدولة السلوقية عليها وتسلط

الدولة البطليموسية أحياناً عليها



وسنة ٣٣٣ ق م توفى إسكندر وإذا لم يكن له ولد راشد ليملك بعده وقعت مملكته بأيدي قواده فكانت سورية كباقي ولاياته هدفاً لسهام أولئك القواد الذين أحدثوا حروباً كثيرة ودامت إلى سنة ٣٠١ ق م كما سيأتى.

وسنة ٣٣٣ ق م مات يدوع الحبر وخلفه حينئذ الأول .

وسنة ٣٣٠ ق م تغلب بطليموس بن لاجوس ملك مصر على اليهودية وأسر نحو مائة ألف نفس من اليهود وساقهم إلى مصر وبقيت اليهودية خاضعة له إلى سنة ٣١٤ ق م إذ أخذها أنتيغونوس أحد قواد إسكندر لنفسه.

وسنة ٣١٢ ق م تغلب بطليموس المذكور على ديمتريوس بن أنتيغونوس بقرب غزة فخضعت له أورشليم مع اليهودية.

وكان انتغونوس المذكور مجتهداً بتعظيم سطوته في آسيا وإذ رأى بقية القواد ذلك اضطربوا وخافوا من إزدياد سطوته فنهضوا لمحاربتة فانتصر على جميعهم وذلك سنة ٣٠٧ ق م وأخذ قبل الجميع لقب ملك .

وسنة ٣٠١ ق م حدثت بينهم وبين أنتيغونوس وابنه ديمتريوس وقعة مهولة في أفسس من آسيا الصغرى فدارت الدائرة على انتيغونوس وولده ديمتريوس وقتل أنتيغونوس فيها فأقسم إذ ذاك قواد إسكندر مملكته إلى أربع ممالك^(١) وكانت أورشليم تحت حكم سلوقس أحدهم الذي لقب بالغالب لانتصاره في ٢٣ معركة ومنه سميت الدولة السلوقية . وقد أحسن هذا القائد التصرف مع اليهود وغيرهم وكان يكرم هيكل الإسرائيليين بالهدايا سنوياً وفي مدة ملكه ذهب إليه قوم من اليهود الأشقياء وقالوا له أن في هيكل أورشليم من الذهب والفضة والجواهر النفيسة ما لا يُقدَّر ولا يليق وضعه إلا في بيوت الملوك وكانوا يرغبونه في إحضار ذلك إلى بيته وسهلوا له أخذ ذلك فأستمالوه إلى رأيهم وأرسل أروزوس رجلاً من أكابر رجاله وأمره أن يأتيه بكل ما في الهيكل من المال والجواهر فذهب حسبما أمر ولما وصل إلى أورشليم وعرف اليهود سبب حضوره خافوا واضطربوا ولا قاة حينئذ الكاهن وشيوخ اليهود وأخبروه أنه لا يوجد شيء مما يطلبه فلم يصغ لهم وفي غد اليوم الثاني تقدم ليستولى على ما في الهيكل فلما دخله سمع صوتاً هائلاً فانتزع

(١) من جملة قواد إسكندر أربعة قواد وهم بطليموس لاجوس . وكساندر وليسيماخوس وسلوقس . فبعد واقعة أفسس أقتسموا مملكته كساندر على مكدونية وبلاد اليونان . وتملك ليسسيماخوس تراقيا وبثنية وبعض أقسام آسيا الصغرى . وتملك سلوقس بقية آسيا من البحر الأسود إلى حدود النيل وسميت مملكة سورية .

عن سرجه وسقط إلى الأرض مغشياً عليه وإذا شاهد أصحابه ذلك أخذوه إلى منزله وبقي أياماً لا يأكل ولا يتكلم فأخذوه أصحابه إلى حنينا الكاهن وطلبوا إليه أن يطلب من الله بأن يعافيه ويصفح عنه ففعل الكاهن وعوفي أروزوس فقدم حينئذ هدايا إلى حنينا الكاهن ورجع من أورشليم إلى مكدونية فأخبر الملك سلوقس بذلك فندم على إصدار هذا الأمر وعاد إلى إكرام هيكل أورشليم بالهدايا .

وسنة ٢٩٣ ق م توفي سمعان الكاهن العظيم الملقب بالعاقل وهو آخر من بقى من المحفل العظيم الذى رسمه عزرا الكاهن لإصلاح حال اليهود .

وسنة ٢٨٠ ق م إذ كان بطليموس فيلادلفوس بن بطليموس فيلادلفوس بن بطليموس لاجوس ملك مصر باذلاً الجهد فى جمع مكتبة حاوية جميع أجناس الكتب الموجودة وكان قد بلغه وجود التوراة فى مدينة أورشليم باللغة العبرانية أرسل إلى العازر الكاهن يطلب إليه أن يرسل له سبعين شيخاً من علماء اليهود ليترجموا التوراة من اللغة العبرانية إلى اليونانية لتوضع فى مكتبته ولمنفعة اليهود سكان مصر فلما ترجمت قوبلت فظهر أنها مطابقة بعضها للبعض الآخر وسميت بالسبعينية . فسر الملك بذلك ووهب أموالاً كثيرة للعازر ورفقائه وأمر بأن تعمل مائدة ويصوّر عليها أرض مصر والنيل وكيفية مسيره ليسقى الأرض ورُصِّعت المائدة بالجواهر وقدمها هدية لهيكل أورشليم وأطلق من كان أسيراً من اليهود فى مصر ورد الأواني الذهبية التى أغنمها بطليموس لاجوس إلى هيكل أورشليم .

وبعد موته خلفه بطليموس الثالث الملقب بالكريم وكان ابتداءً ملكه سنة ٢٤٦ ق . م وأثار حروباً كثيرة على انتيوخوس سيوس ملك سورية وبعد موته ملك بطليموس الرابع المسمى فيلوباتراى محب أبيه تهماً لانه اقم بقتله وذلك سنة ٢٢٢ ق . م وقد اثار اضطهاداً على اليهود في مملكته .

وسنة ٢١٨ ق.م حدث حرب عظيمة بين انتيوخوس الكبير ملك سورية وبطليموس فيلوباتراى وبقيت إلى سنة ٢١٧ ق . م في هذه السنة أغرى وزراء مصر الملك بطليموس ليقود الجنود بنفسه إلى الحرب فصار بجيش مؤلف من سبعين ألفاً من المشاة وخمسين ألفاً من الفرسان وثلاثة وسبعين فيلاً قاصداً مهاجمة انتيوخوس الذى التقاه تحت أسوار مدينة رافيا (بين عريش مصر وغزة) باثنين وسبعين ألفاً من المشاة وستة آلاف من الفرسان ومائة وأثنين من الفيلة وبعد واقعة مهولة انتصر انتيوخوس على بطليموس فى الجهة التى كان مستلماً قيادة عساكرها بنفسه وقد انكسرت عساكره فى الجهة الأخرى وطلبت الفرار بدون أن يشعر انتيوخوس الذى لما رأى مع جنوده الظافرة انكسار بقية الجنود ولوا مدبرين فانتصر بطليموس مع جنوده وأخذ رافيا ومدن سواحل بر الشام وفلسطين وطرابلس ودمشق بعد أن كانت فى قبضة انتيوخوس قبل ذلك ببرهة وجيزة وحينئذ عقدت هدنة سنة واحدة . وسميت هذه الواقعة واقعة رافيا وقد نتج منها تعذيب اليهود وقتلهم وسبب ذلك أن بطليموس كان قد التمس من الحبر العظيم الدخول إلى بيت المقدس فمنعه من ذلك فحقد على جميع اليهود وأمر باستئصال يهود الإسكندرية وكتب لجميع عماله أن يقتلوا به فى قتلهم واهلاكهم وأمر بان تدوس الأفيال كثيرين منهم.

وسنة ٢٠٤ ق م مات بطليموس المذكور وتولى بعده الملك بطليموس
ايفانوس سنة ٢٠٢ ق م تغلب انتيوخوس الكبير على فينيقية واليهودية .

وسنة ١٩٨ ق م استرجع سكوباس أحد قواد بطليموس ايفانوس
اليهودية من انتيوخوس الكبير سنة ١٩٧ ق م تغلب انتيوخوس على
سكوباس وأخضع البلاد لسلطوته .

وسنة ١٩٢ ق م أعطى انتيوخوس الكبير ابنته كليوباتره زوجة
لبطليموس ايفانوس ملك مصر وأعطاهما فينيقية وسوريا نظير مهر .

وسنة ١٨٩ ق م جرت حروب كثيرة بين انتيوخوس والرومانيين
وكان النصر للرومان فأخذوا جانباً من مملكته ولم يبق له سوى سورية
واليهودية.

وسنة ١٧٥ ق م بعد موت بطليموس المذكور تغلب انتيوخوس^(١)
ايفانوس على مصر وغيرها من الممالك وأضاف ذلك إلى ملكه وسنة
١٧٣ ق م أتى أورشليم فأستقبله أهلها بكرامة عظيمة . وكان عاتياً متجبراً
فعل أصناماً على صورته وأرسلها إلى كل مملكته وأمر بعبادتها والسجود لها أما

(١) وهو من سلالة ملوك مملكة سورية اليونانية وسنذكر جميعهم في جدول الملوك في آخر
هذا الكتاب ولم نذكر جميعهم هنا لعدم أهمية ما أجروه في أورشليم وكانت سورية تارة
خاضعة لهم وأخرى للملوك مصر وهكذا كانت مقر النزاع بين الدولتين .

اليهود فامتنعوا عن عبادة الأصنام وقد قال يوسفوس أنه في ذلك الحين أي سنة ١٧٠ ق م ظهر في الجو صورة فرسان من نار على خيول نارية يقاتل بعضها البعض الآخر ورئى ذلك في أورشليم أربعين يوماً وكان قد شاع خبر موت انتيوخوس كذباً فبلغ ذلك ياسون أحد الكهنة المعزولين منه فعزم على أن يسترد الكهنوت لنفسه ودخل أورشليم بألف مقاتل فقتل من كان يظن أنه عدو له . وكان وقتئذ ثلاثة من الكهنة الأشرار وهم مياس وشمعون والقسيموس فتحزب هؤلاء رهط من أهل الشر ومضوا إلى الملك أنتيوخوس ووشوا له باليهود وقالوا له أنهم يبغضونه ويعصون أوامره ولا يطيعونه وأنهم رأوا ركباناً من نار في السماء تدل على موته وأخبروه عن كل ما عمل ياسون بعد أن ظن أنه مات وإن اليهود فرحوا بموته وذلك ليهيجوا الملك أنتيوخوس على الانتقام من الأورشليميين ليمتلكوا غايتهم بهلاكهم فأنقاد الملك لرأيهم وصدق كلما قالوا وسار إلى أورشليم بعسكر عظيم فوصل إلى المدينة بدون أن يشعر اليهود به فقتل أربعين ألفاً من أهلها وباع أربعين ألفاً وسلب ما كان في الهيكل وهرب من بقى في المدينة إلى البراري والقفار مختبئين في المغاير والأوجار . ثم ولى على اليهود رجلاً من قواده اسمه فيلكس وأمره أن يطلب إلى اليهود أن يسجدوا لأصنامهم وأن يأكلوا لحم الخنزير ويمتنعوا عن الختان وحفظ السبت فكان كل من لا يقبل يقتل فقتل جمع كثير وأكرم الذين أطاعوا أوامره وكان أكثرهم إطاعة الكهنة الثلاثة ورهطهم المذكورين آنفاً فتسلطوا على أخوتهم الذين لم يطيعوا الملك بعبادة الأصنام وعظم شرهم . وفي ذلك الوقت بلغ فيلكس أن امرأة خنت ولدين لها سرّاً فأمر أن يعلقا في ثدييها وترمى بهما من مكان مرتفع قصار كما أمر وماتوا جميعاً .

وسنة ١٦٧ ق م وشى قوم من أولئك الأشقياء بالعازر الكاهن الذي كان مقدام مترجمى الترجمة السبعينية فأحضروه فيلكس وأمره أن يسجد للأصنام وان يأكل من ذبائحه فلم يقبل وأخيراً أماته مغدباً. وشى أيضاً بالأخوة السبعة المعروفين بأولاد أشمونية فلما أحضرهم فيلكس أرسلهم إلى أنتيوخوس فأمرهم أن يعبدوا الأصنام وإذا لم يقبلوا قتلهم معذبين أشر العذاب الواحد بعد الآخر وكان ذلك أمام عيني والدتهم التى كانت تشجعهم وتثبتهم في إيمانهم وأخيراً فى ذلك الوقت ماتت أمهم أيضاً ثم ارتحل أنتيوخوس من اورشليم بعد أن حرض فيلكس على الثبات فى أهلاك كل من لا يسجد لأصنامهم فأكثر من قتل اليهود وكان ذلك واسطة لأهلاك جمع كثير .

وسنة ١٦٦ ق م قام رئيساً على اليهود رجل جبار من المكابيين وهو متثيا بن يوحانان الكاهن فإذا بلغه رجوع أنتيوخوس إلى رومية وكان فاراً مع من فرّ إلى الجبال أرسل ابنه يهوذا سراً إلى اورشليم ليجمع كل أقوياء القلب ليحاربوا وينقذوا اليهود من ظلم اليونانيين فقويت قلوب اليهودية . وإذا بلغ فيلكس وقواده ذلك جمع جيشاً لقتال متثيا ولما قربوا من الحل المقصود بلغهم أن قوماً دخلوا إلى مغارة هناك وإذا لم يخرجوا أمر فيلكس الملك أن يوضع حطب في باب المغارة ويحرق فكان كما أمر فأحترق من فيها من الدخان وعددهم ألف نفس . ثم صار قاصداً متثيا فوجده مع من معه مستعدين للحرب فشرع أصحاب أنتيوخوس يحثونه على اطاعة الملك أما هو فكان يجيب بالامتناع وفى أثناء كلامهم تقدم أحد جنود أنتيوخوس وهو من اليهود الأشقياء وابتدأ يوبخ متثيا وأخذ خزيراً وذبحه وقدمه على هيكل كان بناه

اليونانيون لمعسكرهم وذلك ليغيظ متشيا فتقدم إليه متشيا وضربه بالسيف فقتله
وتقدم إلى القائد وقتله فأشدت بذلك يد اليهود وشغفت يد اليونان وهربوا
بعد انتشاب القتال فتبعهم متشيا ومن معه وقتلوا منهم جمعاً غفيراً ولما سمع
اليهود ذلك تشددت عزائمهم واجتمعوا إلى متشيا وعزم الجميع على محاربة
اليونان وفي هذه السنة أى سنة ١٦٦ ق م توفى متشيا وتولى ابنه يهوذا
بعده فأرسل إليهم فيلكس صاحب انتيوخوس عسكرياً فهزموه فقوى يهوذا .

ولما بلغ انتيوخوس ذلك وكانت وقتئذ الفرس عصت عليه سار نحوهم
وأمر أحد قواده الذى كان نائباً عنه أن يوجه عسكرياً قوياً إلى اليهود ويبيدهم
فوجه ثلاث فرق تحت قيادة نيكاتور وتليماس وهيرودس وشدد عليهم الأمر
بإبادة اليهود وإذا بلغ ذلك يهوذا بن متشيا جمع اليهود إلى الهيكل وصاموا
وصلوا وطلبوا المعونة من الله ثم رتبهم فرقا فرقا وأمر بأن يرجع كل جبان
القلب وكان من بقى معه سبعة آلاف رجل من الجبابرة الصناديد فسار بهم إلى
معسكر اليونان وحملوا على فرقة نيكاتور فانتشب القتال وكانت الغلبة ليهوذا
فكسرهم كسرة عظيمة وبددهم وطلب الفرقتين الأخريين فانتصر عليهما
وبدد شملهما وكان فيلكس معهما فهرب والتجأ إلى بيت وأغلق بابه فجاء
يهوذا وحرق البيت بالنار فأحترق فيلكس ومن معه وأما نيكاتور أحد القواد
الثلاثة فهرب متنكراً إلى مكدونية وأخبر ليشاوس وكيل انتيوخوس بما أصابه
وأما يهوذا المكابي فعاد إلى اورشليم منصوراً بالطرب والابتهاج .

وإذ بلغ انتيوخوس انكسار قومه قصد أورشليم بجيش جرار عازماً على أهلاك اليهود وخراب أورشليم فلم يتيسر له ذلك إذ مات في الطريق وذلك سنة ١٦٤ ق . م . أما يهوذا فلما فرغ من محاربة اليونانيين دخل أورشليم وهدم جميع المذابح التي بنيت بأمر انتيوخوس وأزال الأوثان وأمر بتطهير القدس وبتنظيفه وبني مذبحاً جديداً وجعل عليه خطباً وذبائح مطهرة وقد قال يوسفوس أنه دعا إلى الله وطلب منه أن يظهر ناراً على المذبح فأستجاب له وأظهر ناراً من حجارة المذبح بقوته العظيمة وبقيت إلى خراب أورشليم ثانية .

أما أفطر بن انتيوخوس اليوناني الذي تولى الملك بعد أبيه فلما بلغه ما حل بقومه أرسل ابن عمه ليشاوس لمحاربة اليهودية ولما بلغ يهوذا قدومه سار بقومه للقاءه فلما رأوهم عن بعد خافوا لكثرتهم وقد قال يوسفوس أنه نظر يهوذا شخصاً راكباً فرساً من نار ولباسه يلمع كالذهب وبيده رمح وهو متوجه نحو اليونانيين كأنه يحاربهم فعلم يهوذا أنه ملاك مرسل ليقويه فقوى قلبه وقلوب جيشه وهجموا على عسكر اليوناني بالليل فقتلوا جماعة منهم وأوقع الله في قلوبهم الخوف فأنهزموا ملتجئين . ثم كاتب ليشاوس يهوذا في أمر الصلح فتم ذلك وأعطوا اليهود حرية الدين وهكذا انتهت الحرب .



الفصل الثامن

أورشليم مدة تولى يهوذا عليها من قبل أفطر
واتحاده مع الروم ثم محاربة أباهم وغلبتهم على
أورشليم تارة وإنكسارهم أخرى عن يد رؤساء
المكابيين وملوكهم إلى ملك هيرودس الكبير

وإذ كان يهوذا والياً من قبل أفطر على اليهودية كاتبة الروم على الاتحاد
فخلع طاعة أفطر وأتحد معهم وفي ذلك الوقت أتى تلمياس من قبل أفطر بمائة
وعشرين ألف رجل وألف فارس لمحاربة يهوذا فالتقاء بعشرة آلاف وبدد
جيوشه . ثم أتى هيرودس أيضاً بثلاثة آلاف رجل وأربعمائة فارس فانتشب
القتال بينهما فقتل قائد جيش يهوذا وجماعة من رجاله فتوجه إليهم يهوذا
وكسرهم ويظن أن هيرودس قتل في تلك المعركة . وإذا بلغ أفطر إنكسار
قائديه ذهب بنفسه لمحاربتهم وأخذ ليشاوس ابن عمه معه وجيشاً عظيماً ولما
قربوا خرج يهوذا للقاءهم في الليل وانتشب القتال بين الفريقين فكانت معركة
قوية كان النصر بها ليهوذا . وفي اليوم الثاني بعد أن حدث قتال شديد أمر
أفطر أن يرفع القتال وكان عدد من قتل ثمانمائة رجل فطلب أفطر المصالحة

فقبل يهوذا بعد أن عاهد أفطر بأنه لا يأتي إليه بحرب ثم رجع إلى بلاده ورجع يهوذا أيضاً إلى اورشليم مكللاً بالغلبة .

وبعد ذلك قام ديمتريوس سوتر بن سلفانوس من رومية وحارب أفطر فانتصر عليه وقتله وقتل ابن عمه ليشاوس أيضاً ونودي به ملكاً لسورية . ثم سرح قائده نيكاتور إلى اورشليم وأمره بالقبض على يهوذا فأتى إليه بالخداع غير أنه اتفق معه أخيراً وإذ بلغ ديمتريوس ذلك كتب إلى نيكاتور مشدداً بالقبض عليه وحينئذ جرت بينهما حرب فدارت الدائرة على نيكاتور فقتل وقتل ٥٠٠٠ من رجاله . وفي السنة الثانية أتى قائد من بلاد الروم اسمه نيكيروس بثلاثين ألف رجل لمحاربة يهوذا فقسم جيشه إلى قسمين وكان مع يهوذا ثمانمائة رجل ولما انتشب القتال انكسر نيكيروس فتبعه يهوذا ولم يدر أن الفرقة الثانية كامنه له ولما وصل إلى قرب الكمين انتشب القتال أيضاً فقتل من الفريقين جمع كثير وقتل يهوذا أيضاً وذلك سنة ١٦١ ق م فأخذته أخوته إلى قبر آبائه وولوا أخاه يوناثان عوضاً عنه . ومضى ثوناثان بنفر قليل نحو الأردن فأتاه نيكيروس بعسكره ولما جن الليل خرج يوناثان بجيشه إلى معسكر نيكيروس وكسره وقبض على نيكيروس وإراد قتله فأقسم له أنه إذا عفا عنه يطلق جميع أسرى اليهود ولا يعود إلى محاربته فكان كذلك ثم مات يوناثان . وتولى أخوه شمعون مكانه . ووجه ديمتريوس جيشاً لمحاربته فخرج إليه شمعون وقسم جيشه فرقتين ولما قامت الحرب على قدم وساق أطبقت الفرقتان على جيش ديمتريوس وأهلكته ولم تبق منهم إلا نفرًا قليلاً ففروا هاربين .

أما شمعون فوثب عليه بعد ذلك صهره وقتله^(١) وتولى الأمر بعده هركانوس ابنه^(٢) وفي ذلك الوقت إذ بلغ ديمتريوس سيداتس بن ديمتريوس سوتر الذى ملك بعد موت أبيه قتل شمعون قدم بجيوشه للانتقام من اليهود لأن شمعون كان قد قتل قواد ديمتريوس فسار إلى اورشليم فى عسكر عظيم وبعد حروب عديدة إذ لم ينجح صالح اليهود وقدم هدايا للهيكل . وقد أقر هركانوس بالاستقلال فى سنة ١٣٠ ق م ثم أن هركانوس بعد أن أصلح من السور ما كان قد هدمه ديمتريوس المذكور ذهب معه لمحاربة العجم وانتصرا ثم ذهب ديمتريوس إلى بلاد الفرس فلم يتبعه هركانوس لعدم جواز سفره فى السبت وبعد ذلك كان عيد العنصرة فتأخر عن اتباع ديمتريوس وإذا كان مصمماً على المسير إليه بلغه خبر إنكساره فقفل راجعاً وفى مسيره سار نحو السامرة وأخرب الهيكل الذى بناه سنبلط السامرى فى أيام إسكندر المكدونى وفتح غير ذلك فتوحات كثيرة كفتحة حلب والشام وبلاد ادوم وبلاد السمرة. ثم جدد العهد الذى كان بين اليهود وبين الشيخ والثلاثمائة

(١) واسم صهره تلماي قتله لأسباب كانت بينهما وقبض على امرأة المقتول وولديه فلما بلغ هركانوس ذلك فر من أمامه إلى غزة فتبعه تلماي وأراد قتله فلم يتمكن لأسعاف أهل غزة له . ثم سار تلماي إلى داجون ومعه أم هركانوس وأخوته ولما انصرف عنه توجه هركانوس إلى اورشليم وبعد أن أقيم والياً أجمع بعسكر أبيه وطلب قتل تلماي فلما جد فى هدم سور داجون خاف تلماي فأصعد أم هركانوس وأخوته على السور وهدد هركانوس بطرحهم إلى أسفل إذا دام الحصار فرجع عنه وبعد رجوعه قتلهم تلماي وهرب إلى بلاد بعيدة .

(٢) سماه أبوه هركانوس لأنه قتل جباراً بهذا الاسم واسمه الحقيقى يوحانان .

والعشرين المدبرين معه الذين كانوا أصحاب رومية وهو أول من سمي ملكاً
من اليهود في مدة الهيكل الثاني وتوفي وله من العمر ٢٩ سنة وكانت وفاته
سنة ١٠٩ ق م وملك ابنه أرسطوبولوس مكانه . أما أرسطوبولوس فكان
متكبراً متجبراً وقيد أخاه إسكندر ووالدته لأنها كانت تميل إليه ومال إلى
انتغونوس أخيه وبعثه لمحاربة الأمم الذين عصوه فقهرهم وردهم إلى طاعته
وعاد إلى القدس ظافراً ولما رجع قبل أن يمضي إلى دار الملك ذهب إلى الهيكل
ليشكر أله الذي أعطاه الغلبة على أعدائه وإذ كان جميل الصورة والقامة
ومتقلداً أسلحته وراه الناس تعجبوا من حسنه وجماله ورشاقته وكان له
مبغضون وحساد كثيرون فتقدموا إلى الملك وقالوا له أن أخاك قد عمل على
قتلك ولذلك لم يدخل إليك لما قدم بل ذهب إلى الهيكل وذلك ليستميل الناس
إليه فأنخدع الملك وخاف وأمر رجاله أن يلبسوا أسلحتهم ويقتلوا كل من
أراد الدخول إليه وعليه شيء من السلاح ووجه رسولا إلى أخيه بأمره بأن
يترع ما عليه من السلاح ويحضر إليه ولا يتأخر وكانت امرأة أرسطوبولوس
تكره انتغونوس وتروم قتله فاستدعت الرسول وأعطته أموالاً وأمرت أن
يعكس الرسالة أي أن يطلب إليه بأمر الملك أن يحضر بكل سلاحه لأن الملك
يريد أن يرى حسن زيه فحضر على الفور ولما أراد الدخول قتله الخدام
حسب أمر الملك أن يقتلوا كل من أراد الدخول إليه بالسلاح ثم بعد ذلك
علم الملك أن قتل أخيه كان بخديعة فحزن عليه حزناً عظيماً حتى أفضى به
حزنه إلى الموت فمات سنة ١٠٤ ق م وكانت مدة ملكه سنة واحدة
وملك أخوه إسكندر جانيوس مكانه .

أما إسكندر فلما ملك بلنّه أن أهل عكا وغزة عصوا عليه بعد موت
أرسطوبولوس ذهب إلى عكا وحاصرها وأرسل أهل عكا يطلبون المعونة من
ليطرا ملك قبرص (وهو بطليموس لاثوروس) ابن كليوباتره ملكة مصر
فحضر ولما بلغ إسكندر قدومه رجع عنها ثم ذهب لمحاربة صيدا ففتحها ورجع
إلى أورشليم ظافراً . وبعد ذلك أتى ليطرا ابن كليوباتره إلى الأردن لمحاربة
إسكندر فالتقاه هناك وثار بينهما حربٌ عظيمة انكسر بها إسكندر ورجع
إلى أورشليم مقهوراً وبعد رجوع ليطرا إلى قبرص سار إسكندر إلى غزة ففتحها
وقتل أهلها لأنهم عانوا ليطرا عليه وعاد إلى أورشليم .

وفي تلك السنة : إذ كان عيد المظال رمى أحد الفرنسيين ليمونة
فأصابت الملك فقام أصحابه على الفرنسيين وبأمر الملك قتلوا منهم ومن
قومهم ستة آلاف رجل وهذه الحادثة كانت بداية الخلاف بين الصدوقيين
والفرنسيين واتصلت الحروب بينهم أياماً كثيرة قتل فيها من الفرنسيين
وقومهم خمسون ألف رجل . وذهب جماعة من الفرنسيين إلى ديمتريوس
يوساريوس بن انتيوخوس الثامن وطلبوا منه المعونة فأتى برجاله لمحاربة إسكندر
فكسره وهرب إسكندر إلى الجبال ثم انضم إلى جيشه كثيرون من رجال
ديمتريوس وبعد أن جمع جيشاً عظيماً أتى إلى ديمتريوس وكسره فالتزم أن
يرجع إلى بلاده ثم أنتصر إسكندر على الفرنسيين وقتل كثيرين منهم وكانت
مدة غربته في الحروب ثلاث سنين . ثم رجع إلى أورشليم بعد أن ظفر بأكثر
أعدائه .

وسنة ٧٧ ق . م مات أسكندر بينما كان يحاصر إحدى المدن واختفت
امرأته موته إلى أن فتحت المدينة ورجعت إلى أورشليم وقيمت والدته الملكة
إسكندرية مكانه وكانت مدة ملكه ٢٧ سنة .

وفي مدة ملك إسكندره كانت قلاقل كثيرة في أورشليم بين الصدوقيين
والفرنسيين فأخرجت الصدوقيين من المدينة لحفظ الراحة وملك تسع سنين
وتوفيت سنة ٦٩ ق . م ولها من العمر ٧٣ سنة .

وقبل أن ماتت وهى فى شدة المرض خرج ابنها أرسطوبولوس من
أورشليم مستحزياً للصدوقيين كما تحزب أخوه هركانوس للفرنسيين وانهمزم
هركانوس إلى أورشليم فتبعه أرسطوبولوس وحدثت بينهما حرب عظيمة
فخرج شيوخ أورشليم وصالحوهما بتسليم الكهنوت لهركانوس والسياسة
لأرسطوبولوس فصار ملكاً في أورشليم وأخذت الفتن إلى أن دخل رجل اسمه
انتيبترس وهو عسقلاني الجنس دخل أجداده بين الاسرائيليين حينما سبوا إلى
بابل فأفسد بينهما وقال لهركانوس أن أخاك يريد قتلك فالزمه بالالتجاء إلى
هريمة ارتياش ملك العرب الذى كان خاطبه انتيبترس أولاً كما أنه خاطب
كثيرين من اليهود فخدع هركانوس وأخذته إلى هريمة فأكرمه غاية الاكرام ثم
أن انتيبترس اغرى ملك العرب وهركانوس على أن ينهضا لمحاربة
أرسطوبولوس فقاما بجيش عظيم ولما وصلا إلى أورشليم انضم إليها عدد كثير
فلما رأى أرسطوبولوس كثيرة جيوشهما قفل راجعاً بدون حرب ودخل المدينة
فتبعه هركانوس وهريمة وانتشب القتال بين الفريقين وحدثت معركة عظيمة
الجأت كثيرين من مجى السلم إلى الهرب والانتقال إلى مصر . وحاصر
أرسطوبولوس مع الكهنة والشعب الذى معه في الهيكل وذلك سنة ٦٥ ق . م

وإذ كان عيد الفطير طلبوا من هركانوس بقرأ وغنماً ليقدّموا ذبائح فقيل أن يعطيهم بشرط أن يدفعوا عن كل رأس ألف دينار فارتضى أرسطوبولوس بذلك وجمع مالاً ودفعه لهم لكنهم بعد أن أخذوا المال نكثوا بذلك الوعد ولم يقدّموا الثيران سنة ٦٤ ق. م. إذ كان بمبيوس^(١) صاحب جيش الروم خارجاً لمحاربة سكان دمشق وحمص وحلب وما يليها من البلاد السورية وكان قد أرسل القائد شكاروس إلى دمشق فبلغ أرسطوبولوس ذلك فوجه إليه رسلاً يطلبون إليه أن يساعده على محاربة أخيه ووجه إليه هركانوس رسلاً فامتنع عن إجابة طلبهما ولكنه أرسل وطلب إلى هرمة أن يرجع إلى بلاده وتهدده بالحرب إذا لم يرجع فرجع على الفور ورجع معه هركانوس وانتبطرس . وإذ أتى افيفوس أحد قواد الروم إلى دمشق طلب أرسطوبولوس منه المساعدة وقدم له هدايا ثمينة وهركانوس أيضاً وجه إليه انتبطرس . ومع أنه كان عازماً على مساعدة أرسطوبولوس أغراه انتبطرس وهكذا عزم على مساعدة هركانوس فلما حضر بمبيوس إلى دمشق وكان بلغه كل ما جرى كتب إلى أرسطوبولوس يأمره بالحضور إليه فحضر وحضر هركانوس وانتبطرس أيضاً فاجتمع بكليهما وإذ رأى ما رأى من هيبة رجال أرسطوبولوس رغب في الاستيلاء على اليهودية ولذلك وعد أرسطوبولوس وهركانوس أنه متى أتى أورشليم يلا في الأمر . وفي ذلك الحين ذهب انتبطرس إلى كل الأماكن التي

(١) وهو رفيق يوليوس قيصر من مشاهير القواد الرومانيين وقد افتتح خمس عشرة مملكة وأخذ ثمان مئة مدينة وبعد غلباته العظيمة سوّلت له نفسه الانفراد في الملك فجمع جيشاً لمحاربة قيصر لكنه لم يتم له ذلك إذ قتله بعض جنوده ولما بلغ قيصر ذلك حزن عليه وعاقب قاتليه.

استولى عليها أرسطوبولوس وأمر أهاليها أن يتذمروا من حكمه الظالم أمام
بمبيوس . وإذ جرى ذلك وتحزب كثيرون ضد أرسطوبولوس فر حينئذ من
عند بمبيوس إلى اورشليم وذلك في سنة ٦٣ ق . م فتبعه بمبيوس إليها فخرج
أرسطوبولوس معتذراً إليه فصيح له بشرط أن يعطيه كل ما يوجد في الهيكل
من الآنية فقبل بذلك ووجه بمبيوس رجالاً ليقبضوا على ما فيه فمنعهم الكهنة
وأخرجوهم من المدينة وقتلوا بعضهم وإذ بلغ بمبيوس ذلك غضب وقيد
أرسطوبولوس وأرسل قومه لأهلاك المدينة فحاربة اليهود وقتلوا كثيرين من
رجالهم وغلقوا أبواب المدينة وفي تلك المدة حدثت وقائع كثيرة بين أصحاب
أرسطوبولوس وأصحاب هركانوس وإذ بلغ بمبيوس ذلك تقدم نحو المدينة
وجار بها ففتح له بعض اليهود باباً فدخلها وأراد أن يدخل الهيكل فلم يقدر
وحدثت حرباً مهولة ولما ملت رجال بمبيوس من الحرب أمر أن تنصب
الكباش على أسوار الهيكل فنصبت وأهدم برج واحد من السور فدخل الروم
 وقتلوا جماعاً غفيراً وقتلوا الكهنة إذ كانوا يقدمون القرابين ونهبوا الهيكل ، وفي
هذه السنة جعل اليهود يؤدون الخراج للسلطنة الرومانية .

ولما دخل بمبيوس الهيكل أعجبه حسن منظره وبنائه فأمر بتنظيفه وبدفن
القتلى وتقديم القرابين وملك انتيپطرس الأدومي وهركانوس مع قائده
شكاروس على اليهود ثم رجع إلى رومية ومعه أرسطوبولوس وأثنان من أولاده
مقيدون .

وكان لأرسطو بولوس ولدٌ ثالث اسمه إسكندر لم يأخذ بمبيوس معه إلى رومية لأنه كان مختبئاً فلما رجع بمبيوس ذهب هركانوس وانتيطرس وشكاروس لمحاربة العرب ليدخلوهم في طاعة الروم ولما خرجوا من المدينة دخل إسكندر بن أرسطوبولوس أورشليم فتلقاء أهلها بفرح وملكوه عليهم فأصلح ما كان هدمه بمبيوس من السور .

ولما عاد هركانوس ومن معه خرج إليهم إسكندر وحاربهم فهزمهم وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفي ذلك الحين أتى سورية قائد من رومية يسمى كينانوس فلما بلغه فعل إسكندر بن أرسطوبولوس صعد إلى أورشليم لمحاربتهم وأنظم إليه هركانوس واتباعه فخرج إليهم من أورشليم وانتشبت بين الفريقين حربٌ دارت الدائرة فيها على إسكندر فأهزم إلى حصن يسمى إسكندرونة فحضر كينانوس إليه وضيق عليه فخرج مستامناً فأمنه .

وسنة ٥٦ ق م هرب أرسطوبولوس مع أحد أولاده من رومية وأتى إلى أورشليم فتبعه جمع كثير ولما بلغ كينانوس ذلك زحف إليه وحاربه وانتصر عليه وأسرهُ وأرجعه إلى رومية .

وسنة ٥٣ ق م إذ كان ولي الرومان كراسوس على ولاية سورية عوضاً عن غابينوس أتى كرسوس المذكور إلى أورشليم وأخذ أموالاً من الهيكل .

وفي غضون ذلك إذ بلغ كينانوس أن أهل مصر أمتنعوا عن تأدية الخراج إلى الروم إليهم من أورشليم ومعه انتيطرس فحاربهم وبعد أن

أخضعهم رجع إلى أورشليم وجدد الملك هركانوس ورقى انتيبطرس ورجع إلى رومية .

وفي تلك المدة عصى الفرس على الروم فوجهوا إليهم القائد كرسوس فسار من رومية بعسكر عظيم ومر بأورشليم وأخذ من الهيكل كل ما وجد فيه من الذهب الكثير .

وبعد ذلك قدم كسيلو القائد الروماني لأنه كان قد بلغ رومية أنه قد تشنت شمل جنود كرسوس فمر بأورشليم ورأى اليهود يحاربون هركانوس وانتيبطرس فأنتصر لهما وسار في طريقه بعد أن أخضع العصاة على الروم في سورية .

وسنة ٤٩ ق م إذ كان قد تغلب قيصر على الشنج والثلاثمائة والعشرين الذين كانوا حكام رومية وكان قد بلغه أن بمبيوس قد جمع جيوشاً لمحاربتة اطلق أرسطوبولوس من السجن وأعطاه قائدين وأثنى عشر ألف مقاتل ليأتى بلاد الشام ويردع الذين كانوا قد عصوه وإذ بلغ بمبيوس ذلك كتب لانتيبطرس بأن يحتال على أهلاك أرسطوبولوس فلبي طلبه وارسل قوماً ليلاقوه وأعطاهم سماً ليهلكوه به فلما وصلوا إليه أكرمهم غاية الإكرام وعندما سنحت لهم الفرصة سقوه السم فمات .

وفي هذه السنة : ولي يوليوس قيصر انتيبطرس على اليهودية .

وسنة ٤٧ ق م إذ أتى قيصر سورية ثبت هركانوس في وظيفة الحربية والملكية وبسبب توانيه تمكن انتيپطرس من إقامة ابنه فزائيل والياً لأورشليم .

وسنة ٤٥ ق م كتب هركانوس إلى قيصر يطلب إليه تجديد العهد الذى كان بين اليهود وبين الروم قبل تملك قيصر فأجاب طلبه وأكرم رسله .

وبعد ذلك عُزل انتيپطرس بأمر الدولة الرومانية وملك ابنه هيرودس الكبير مكانه .

ثم مات انتيپطرس مسموماً برأى اليهود لأنه كان ردياً مبغوضاً من كثيرين أما قاتله فهو ملكياً الذى انتقم منه هيرودس وقتله بحيلة .

وسنة ٤٠ ق م ذهب انتيغونوس بن أرسطوبولوس مع جماعة من اليهود إلى ملك العجم وطلب إليه أن يعضده على أخذ الملك من عمه هركانوس وتعهد له بدفع مبالغ وهدايا ثمينة فأجاب طلبه وسار بعساكره الجرارة إلى سورية ففتح مدناً كثيرة وقتل ولائها الذين كانوا من قبل الدولة الرومانية ووجه بقائد من قواده وبجيش كثير العدد والعدد مع انتيغونوس إلى أورشليم وتظاهر ذلك القائد بالخداع وبأنه آتٍ بانتيغونوس للهيكل فقط ولما توسطوا المدينة شرعوا فى القتل والنهب فلما رأى هيرودوس الكبير ابن انتيپطرس ذلك ذهب إلى قصر الملك هركانوس وضبطه وفيلو أخوه أيضاً ضبط الحسن ومنع الأعجام عن الخروج فأهلكوا منهم قوماً كثيراً ولما لم ينجح قائد الأعجام أخذ يعتذر لهم قائلاً أن ذلك كان بدون إرادته وأنه يريد تثبيت

المودة بين العجم واليهود فلم يركن هيرودس إليه وأما هركانوس وفيلو
فأخذعا بمقاله وخرجا إليه فأكرمهما وأرتحل من أورشليم وأخذهما معه ولما
سار إلى بلاد الشام قبض عليهما وقتل فيلو نفسه أما انتيغونوس فقطع إذن
هركانوس لكى لا يصلح أن يكون كاهناً فيما بعد. ثم وجه ملك الفرسي
انتيغونوس ليملكه في أورشليم .

فلما بلغ هيرودس موت أخيه وقطع أذن هركانوس فرّ بعياله إلى جبال
الشراه^(١) ووضعهم عند أخيه يوسف وسار متوجهاً إلى رومية فمر في مصر
وذهب إلى كليوباترا الملكة فأكرمتها بالهدايا وأعطته سفناً ورجالاً لتكون بخدمته
وذهب في طريقه إلى رومية ونزل عند صديقه انطونيوس صاحب جيش قيصر
فأكرمه غاية الأكرام ثم مثل بين يدي أوغسطس قيصر ولما اطلعه على كل
الحوادث التي جرت له وكيف أن ملك العجم ملك انتيغونوس اتفق قيصر
وانطونيوس والشيوخ في رومية على تمليك هيرودس على اليهودية وكان ذلك
سنة ٤٠ ق . م فتوجع قيصر وأمر بأن يضرب أمانة بالأبواق وينادى بأن
أوغسطس قد ملك هيرودس على اليهودية وعلى أورشليم .



(١) وهى بلاد الكرك والبلقاء والشوبك .

الفصل التاسع

حالة أورشليم

فى مدة تسلط هيرودس الكبير عليها

عند ذلك سار انطونيوس الرومانى بعسكر عظيم لمحاربة العجم وأما هيرودس فسار بعساكره إلى أورشليم وتقدم لمحاربة انتيغونوس بن أرسطوبولوس وإذا بلغ انتيغونوس ذلك ذهب إلى جبال الشراه ليقبض على عيال هيرودس فحاصرت حصاراً عظيماً وإذا فرغ الماء من عندهم وصم بعضهم على الحرب والبعض على التسليم أمطرت السماء فاكفتهم ماءً وعند ذلك تشددت قلوب المحصورين وداوموا الحصار . فلما بلغ هيرودس أن انتيغونوس يحاصر عياله ورجاله سار إليهم وجرت بينهما معركة شديدة وإذا كان قد خرج يوسف من محل الحصار لمحاربتهم وكان أخوه هيرودس يحاربهم من خارج أطبقا على انتيغونوس فأهلكا من جيشه خلقاً كثيراً فقفل راجعاً إلى أورشليم ودخل المدينة وتحصن فيها وحدثت بينهما حرب طويلة لم يفز أحدٌ فيها بالغلبة ولم يزالا كذلك إلى أن رجع انطونيوس من العجم ظافراً منصوراً فأنه حالما بلغ هيرودس رجوعه إلى الفرات وافاه إلى هناك واعلمه بواقعة الحال وطلب منه الإسعاف فأرسل معه فرقة تحت قيادة سيساوس القائد وذهب كلٌ في طريقه ولما وصل هيرودس إلى دمشق بلغه أن قوقاس صاحب جيش

انتیغونوس یحارب أخاه یوسف الذی قتل فی تلك المعارك فخلف سیساوس فی دمشق وزحف باثنی عشر ألف جندي إلى انتیغونوس وقوقاس فلقیهما فی جبل الجلیل فجرت بینهما حربٌ انهزم بها انتیغونوس ودخل اورشليم وانحصر فیها. أما قوقاس فكان شجاعاً جباراً من الأبطال الأشداء فلبث بعساكره ثابتاً إلى أن قتل هو وأكثر رجاله ثم أن هيرودس بعد هذه النصره وافى سیساوس بعد أن كان قد تركه فی دمشق وزحف لحصار اورشليم وجرت بینهما وبين الاورشليميين حروب كثيرة . وفي إحدى الليالي إذ نام بعض الحراس وعلم قوم من أصحاب هيرودس صعدت زمرة منهم على السالم وقتلت الحراس ثم فتحو الأبواب ودخلت الجيوش وابتدأوا فی النهب والقتل فقتلت أكثر أهل المدينه وذلك بأمر سیساوس فلما بلغ هيرودس ذلك عظم الأمر علیه وقال لسیساوس ما هذا الأمر فإنه قد قتل أكثر شعبي فعلى من أملك بعد ذلك وحينئذٍ أمر سیساوس فكف القتل وذلك سنة ٣٧ ق . م .

ولما فتحت المدينه طلبوا انتیغونوس وإذ وجدوه أخذوه سیساوس مقيداً قيل بطلب هيرودس الذی رشى بمالٍ كثيرٍ ليامن من غوايله وقتل أيضاً كل من كان ينازعه ولما خضعت له اليهودية بأسرها عاد وغزا جميع الأمم الذین كانوا قد عصوا ملوك اليهود وطلب هرکانوس من ملك العجم بزعمه انه يريد إكرامه وقدم لملك العجم هدية عظيمة فأرسله إليه ولما وصل أكرمه غاية الإكرام ولكنه كان مضمرأً له الشر ولما عرفت امرأة هيرودس وابنه ما كان قد نواه من قتل هذا الشيخ التقى أخبراه وكذلك كثيرون من وجوه اليهود .

وعندما تأكد هركانوس منهم ذلك كتب إلى ملك العرب أن يرسل إليه من يأخذه إلى بلاده سرّاً وأرسل التحرير مع رجل كان شديد البغضة لهرودس لأنه كان قد قتل أخاه وسلب ماله فلذلك أركن هركانوس إليه فلما أخذ التحرير بعد أن عاهد هركانوس بأن لا يسلمه إلا إلى ملك العرب أخذه على الفور وسلمه إلى هرودس فكانت هذه الحادثة مسعفة له على تنفيذ غايته فقتله في ذلك الحين وله من العمر ثمانون سنة . وكان شيخاً جليلاً عاقلاً تقياً حسن السيرة وهو آخر من ملك على اليهود من الكهنة ومدة ملكه أربعون سنة .

وفي ذلك الوقت اتسعت البلاد أمام هرودس ولم يعد له مناظر ولا عدو لأن الجميع أطاعوا لسلطته وكانت امرأته مريم ابنة أرسطوبولوس أختي هركانوس وأخوها أرسطوبولوس (بأسم والده) من أحسن الناس منظرًا وكان هرودس يحب امرأته محبة شديدة لفرط حسنها وجمالها أما هي فكانت تكرهه لأنه كان سفاكاً للدماء ولأنه قتل جدها هركانوس وكذلك أمها إسكندرة التي كانت تحب أن يكون ابنها أرسطوبولوس كاهناً أعظم عوضاً عن هركانوس جده أما هرودس فلم يحب ذلك خوفاً من اجتذاب قلوب الشعب إليه لمحبتهم لهركانوس حده ولا هليته . أما إسكندرة والدته فإذا كان بينها وبين كليوباترة ملكة مصر محبة طلبت إليها كتابة أن تطلب من زوجها أنطونيوس أن يأمر هرودس بأن يقدم ابنها أرسطوبولوس أن يأمر هرودس بأن يقدم ابنها أرسطوبولوس كاهناً عظيماً فكان كما طلبت ولكن لم يأت ذلك نتيجة لأن هرودس أجاب رسول أنطونيوس أنه ضد شريعة اليهود أن يعزل كاهناً مع أنه كان أقام كاهناً عظيماً من لفيف الكهنة أما رسول أنطونيوس

فلما رأى حسن وجهه منظر أرسطوبولوس طلب أن يأخذ صورته وأعداً والدته أنه منى رآها أنطونيوس لابد من تنفيذ كطلوبها فأخذ صورته وذهب راجعاً إلى مصر ولما شاهدها أنطونيوس رغب أن يراها فطلب بلجاجة إلى هيرودس أن يرسله إليه بدون تأخر فلما بلغ هيرودس ذلك خاف من النهاية وحينئذ أقامه رئيس كهنة وأجاب أنطونيوس أنني إطاعة لأمرك أجبرت اليهود على قبول عزل الكاهن السابق ووضع أرسطوبولوس مكانه والآن لا يجوز إرساله إليك لأنه كاهن فيجب عليه ممارسة وظيفته التي لا تسمح له بالخروج من اورشليم لأنه ليس كالمملوك يمكنه الذهاب حيثما أراد وإذا الزمته بالذهاب إليك وبما يهيج اليهود دفتته فلما بلغ أنطونيوس ذلك عن طلبه أما إسكندرية وابنتها مريم امرأة هيرودس فكان بغضهما لهيرودس يشتد يوماً وكتبت إسكندرية إلى كليوباترة تطلب المساعدة عليه فأجابتها قائلة أحضري بحيلة إلى يافا فأني أرسلت لك قوماً وسفنًا ليأتوا بك إلى فصنعت إسكندرية تابوتين ودخلت في الواحد ودخل ولدها أرسطوبولوس في الآخر فلما بلغ هيرودس خبرهما أحضرهما من حيث وصلا وكانت بغضته لهما تشتد أكثر فأكثر . أما أرسطوبولوس فكانت تميل إليه الناس كثيراً فأبتدأ هيرودس يدبر حيلة يهلكه بها وفي ذات يوم إذ كان عيد المظال خرج الملك وحشمة إلى أريحا وبعد أن تناولوا الطعام خرج الغلمان إلى الماء يستحموا فإذا بلغ هيرودس ذلك قال لغلمانه استدعوا أرسطوبولوس ومتى نزل في الماء غرقوه فكان كما أمر وأخرجوه من الماء ميتاً فلما رآه الناس أشد غمهم عليه وندم هيرودس على قتله وبكى عليه بكاء مفرطاً لما رآه ميتاً وأمر بدفنه بالإكرام وكان ذلك سنة ٣٤ ق م .

وبعد هذه الحوادث بمدة ذهب هيرودس من أورشليم إلى مصر بطلب أنطونيوس ليسعفه على محاربة قيصر غير أنه أمره بالرجوع ليحفظ البلاد من الأعداء الذين وراءهم وليحارب العرب أيضاً فرجع ووجهت معه كليوباتره قائداً بجيوشه وقالت له أنه يعينك في القتال وكانت قد قالت للقائد سراً أن يحتال على هيرودس ويقتله لأنها كانت تكره هيرودس لأسباب منها أنها كانت تحب أن تستولى على مملكته وإكراماً لإسكندرية . وفي سنة ٣١ ق م طلب هيرودس أن يصالح ملك العرب فلم يقبل فجمع حينئذ هيرودس جيشاً عظيماً وأتى إلى ملك العرب وحاصره وشدد الحصار عليه فلما نفذ الماء من عنده طلب المصالحة فرفض هيرودس القبول فعند ذلك عزم ملك العرب على خرق صفوف الأعداء برجاله لئلاً يموتوا عطشاً ولكن لم يجدهم ذلك نفعاً إذ هلك منهم خلق كثير وخربت ديارهم فتدلل العرب لهيرودس وطلبوا منه الأمان فأمنهم وضرب عليهم جزية سنوياً ورجع إلى أورشليم ظافراً .

وسنة ٣١ ق م حدثت زلزلة مهولة في اليهودية قتل بها عشرون ألف نفس تحت الردم وعدد كثير من المواشى .

أما انطونيوس فبعد أن أمر هيرودس بأن يرجع من مصر ليحارب العرب ذهب هو إلى رومية لمحاربة أوغسطس قيصر وكان قيصر قد أنتصر عليه وقتله وأتى بجيوشه إلى مصر لمحاربة كليوباتره امرأة أنطونيوس فأستولى على بلادها ولما بلغ هيرودس قدوم قيصر إلى مصر خاف جداً وأرسل نساءه إلى قلعة جبال الشراه وتوجه هو بهدايا كثيرة إلى قيصر الذي كان قد عزم

على قتله لما بلغه من اتفائه مع انطونيوس عدوه فلما وصل هيرودس إلى أمامه أمر أن يترع التاج عن راسه فتقدم هيرودس وتكلم بفصاحة مقررأ بما راق في عيني قيصر فأمر بارجاع التاج إليه وأمره بالرجوع إلى أورشليم وذلك سنة ٣٠ ق م . وبعد رجوع هيرودس أخبرته أخته عن مريم امرأته أخباراً ردية فلم يسمع لها لما كان يعرف ما عندها من البغض لها وكانت تكثر من الطعن فيها إلى أن أمر بقتل امرأته سنة ٣٨ ق م وقتل أيضاً زوج أخته وزوجها لرجل من الأدوميين وولاه بلاد أدوم وكان قوم من أولاد الملوك المكابيين مختبئين هناك فستر زوج أخته المسمى كرسوس أمرهم وبعد حين طلبت أخت هيرودس الطلاق من زوجها فحصلت على مرغوبها وحينئذ أخبرت أخاها عن أولاد المكابيين المختبئين هناك فأمر بأحضارهم وقتلهم عن آخرهم وقتل كرسوس صهره أيضاً وقد مقتته كثيرون لرداءة سياسته وحبه لسفك الدم ولكنهم لم يجسروا أن يجاهرُوا بذلك ولما علم هيرودس بهذا الأمر قتل كل من كان يظن أنه عدو له .

وسنة ١٩ ق م إذ كان قد أطاعه الجميع ولم يعد له منازع ولا مداع رغب في أن يرمم الهيكل وبينيه كبناء سليمان فهدمه وبناءً ثانية . وكان قد أرسل ولديه إلى رومية ليتعلما اللغة اليونانية فلما عرفا ما جرى لأمهاتهما غضبا ولما رجعا لم يكرما أباهما كالواجب لما حصل عندهما من البغض له بسبب قتله إياهما فلما رأى منهما ذلك نفر هو أيضاً منهما .

وكان له امرأة قبل مريم أسمهما رسيس وكان لها ابن منه يسمى انتيپطرس وكان هيرودس قد أبعدهما مع ابنها لشدة محبته لمريم امرأته فلما قتلها ارجع رسيس وأبنها وقرب انتيپطرس عليه وجعله ولي عهده من بعده فخاف انتيپطرس أن ينازعه أخواه في الملك بعد موت أبيه لأن أمهما كانت بنت أحد إجلاء الكهنة وأشرف الملوك وكانت رسيس من عامة اليهود وإذا كان يريد انتيپطرس أن يستريح من أخويه في حياة أبيه عزم على اختراع طريقة هلاكهما وفي ذات يوم قال لأبيه أن إسكندر وأرسطوبولوس يقولان أنهما أحق مني في الملك وهما يعاديانك ويريدان قتلك لأنك قتلت أمهما وقدمتني عليهما ولم يزل يكرر هذا القول عليه إلى أن أثر فيه تأثيراً عظيماً وحول التفاته عنهما.

وسنة ١١ ق م سار هيرودس على رومية وأخذ معه إسكندر ابنه ولما مثلاً بين يدي أوغسطوس شكاه إليه وقال له أنه يعاديني بسبب أمه ويريد قتلي فقال له أوغسطس لما أحوجت أباك لأن يشكوك فقال إسكندر أيها الملك أني لا أقدر أن أنكر حزني على التي قتلت بريئة فإن الحيوانات تحن إلى أمهاتها وتحبها وتألفها وتحزن عليها وما أنا براض أن أكون محروماً من الوالدين لكن أخى انتيپطرس يتفوه بذلك ليغضب أبي على وعلى أخى ليقتلنا ويأخذ الملك له وكان إسكندر يتكلم ويبكى على فقد أمه فرق قلب أوغسطس وأمره أن يقبل رجل والده وكذلك والده قبله وأمره قيصر أن لا يقبل قول من يطعن بهما . ثم أن قيصر أكرم هيرودس بهدايا ثمينة فأقام في رومية أياماً وعاد إلى اورشليم وأستحضر بنيه الثلاثة مع شيوخ اليهود وقال لهم أن الله قد وسع

مملكتي وكبرها وقد رأيت أن أقسمها على أولادى الثلاثة بحيث لا يكون
لواحد منهم على الآخر أمرٌ ولا معارضة فى شىء . فلم يجد ذلك نفعاً لأن
انتيطرس أراد أن يكون مستقلاً بالملك وكذلك إسكندر وأرسطوبولوس كانا
يظنان بأنه ليس لأنتيطرس حقٌّ مثلهما أما هو فكان على جانب من الخبث
فأقام عليهما رقباءً بالاتفاق مع عمه فيروراس الذى كان يكرههما بسبب
أمهما مريم وكانوا يخبرونه بكل شىء عنهما ولم يزل يستقصى أحوالهما ويوجه
الوشاة إلى والده إلى أن جعل أباه هيرودس يبغضهما فأمر بتقييدهما . وغذ بلغ
ذلك أرخلاوس ملك كبدوكية وهو هو إسكندر جاء إلى اورشليم قاصداً
تخليص صهره وكان رجلاً حكيماً فاصلاً فلما اجتمع بهيرودس تكلف أمامه
السنخط على إسكندر وهكذا كان يجتمع بهيرودس كثيراً إلى أن صار من أعز
أصدقائه وفى ذات يوم بلغةً أمراً بنيه وبين له أن أتما به غير صحيح وأن
الواشى بهما فيروراس أخو هيرودس فبعد أن اتضحت الحقيقة باجلى بيان
صفح هيرودس الملك عن والديه وأخيه وأطلقهما وهو بغاية السرور من الملك
أرخلاوس وعندما أراد الرجوع أكرمه هيرودس بهبات كثيرة وأمر قواده
وأصحابه بأن يستحفوه بالهدايا والعطايا الثمينة ثم شيعته إلى بعد وعاد إلى
اورشليم .

فلما رأى انتيطرس أن أعماله وتدابيره ذهبت سدى رجع إلى تدبير
حيلة لقتل أخويه فدعا رجلاً من خواص أعوان هيرودس واعطاه أموالاً كثيرة
وطلب إليه أن يهلكهما بحيلة بواسطة إقناع الملك بأنهما يريدان قتله ولم يزل
على هذا الجهد إلى أن غير قلب هيرودس على ابنيه فسخط عليهما وأمر بأن

يقيدا ولما مضى على إحدى القرى أخذهما مقيدين معه فرق من كان معه ولكنه لم يجسر أحد أن يتكلم في شأنهما غير أنه كان في العسكر شيخ من القواد وله ولد صديق لإسكندر فلما رأى الشيخ سوء حال إسكندر وأخيه ساءة ذلك جداً وصاح في المعسكر قائلاً قد ذهب الإشفاق وقلت الرحمة وبطل الحق وتغيب العدل وعدم الانصاف من العالم . ثم قال لهيرودس يا من يبغض أحبائه ويحب مبغضيه كيف غاب عنك الصواب مع معرفتك وفضلك حتى أصغيت إلى أعدائك الذين يحملونك على قتل أولادك وهدم أركانك ويريدون أن تبقى وحيداً فيقصدون هلاكك . فبادر أعداء إسكندر وأرسطوبولوس إلى الملك وقالوا له أن هذا الشيخ لم يتكلم بهذا الكلام من حبه للملك ولبنيه ولكنه قد أظهر ما في قلبه من البغض لك فأمر حينئذ الملك بقتل أرجل وبحمل ولديه إسكندر وأرسطوبولوس إلى بيروت وقتلهما هناك وصلبهما وكان ذلك سنة ٥ قبل ميلاد المسيح وخلف أرسطوبولوس ثلاثة أولاد منهم أغريباس وهو الذى ملك بعد بيلاطس البنطى الرومانى .

وفي هذه السنة أى السنة الخامسة قبل التاريخ المسيحى ظهر ملاك الرب لزكريا الكاهن وأخبره بولادة يوحنا المعمدان كما سيذكر .

ولما قتل إسكندر وأرسطوبولوس فرح انتيپطرس أخوهما ولكنه لم يكتف بذلك بل أراد قتل أولادهما أيضاً أما هيرودوس فلما استقاة من حماقته وعرف براءة ولديه حزن عليهما حزناً عظيماً وعزم على احتضان أولادهما فقال لفيروراس أخيه قد رأيت أن أتزوج ابنتك لتركابن إسكندر وتضمه

إليك وقال أيضاً لانتيبطرس يا ابني أريد أن أتزوج ابنتك لابن أخيك
أرسطوبولوس فلم يمكنهما رفض أمره فأجابا بالقبول ثم ذهب انتيبطرس إلى
فيروراس عمه وحمل إليه أموالاً كثيرة وطلب إليه أن يحتال في إبطال ما عقده
هيروودس من الزيجة بينه وبين تروكان ابن إسكندر ففعل فيروراس ذلك ولم يزل
إلى أن فسخ الزيجة وأبطلها. وفي تلك المدة وجه هيروودس ابنه انتيبطرس إلى
رومية ليسلم على قيصر ويجدد معه عهداً فبعد مسيره بلغ هيروودس أن
فيروراس أخاه عازماً على اهلاكه فتأثر من ذلك وإذا لم يتحقق هذا الأمر بعده
وأمره أن يلزم بيته ثم مرض فيروراس ولما أشرف على الموت كتب إلى أخيه
الملك أن يسير إليه ليراه قبل موته فسار إليه ولما رآه على تلك الحالة بكى
ووعده بمعاملة بنيه بالحسنى وبعد أن انصرف هيروودس مات فيروراس فأمر
الملك بأن يدفن بأحتفال وأراد الملك أن يتحقق أمر أخيه فقبض على خدامه
وجواريه وشددهم عليهم فأقرت إحدى الجواري بأن فيروراس وانتيبطرس كانا
يجتمعان عند رسيس أم انتيبطرس حينما ينصرفان من مجلس الملك وقالت قد
سمعت انتيبطرس يقول لفيروراس أن هذا الملك كالسبع الردى لا يرحم أحداً
لأنه قتل امرأته وأولاده وأقاربه فيجب أن نبتعد عنه لئلا يفتربنا كغيرنا
وعندما نتمكن من فرصة مناسبة ندبر على هلاكه وقتله ومع أنه وعدنى بأن
يسلمنى الملك بعده فإنه كما تراه كالشباب القوى وأنا قد شبت ولا أدرى من
يموت منا قبل الآخر وبنو بنيه المقتولين قد كبروا وهامو يقربهم إليه وأنا أنه لا
ينوى لى خيراً لأنه يبغض ويمقت كل أقاربه ومع أنك أنت أخوه فإنه قد مقتك
وأبعدك عنه ولم يراع خدمتك له وقد أمرنى بأن أهجرك ولا أكلمك.

فقال له فيروراس لقد أصبت فالأولى ان ندبر طريقة فملكه بها قبل أن يتمكن من أهلاكنا . ثم قالت الجارية بأنهما اتفقا على أن يذهب انتيپطرس إلى رومية ويقسم فيروراس مع الملك فيحتال عليه حتى يقتله ثم يعود انتيپطرس فيملك . فتأكد هيرودس كلام الجارية لأنه كان قد أمر انتيپطرس بأن لا يقول لعمه أنه وعد بالملك وكان ذلك سرّاً فحينئذ اطلق الجارية وقبض على خادم انتيپطرس وشدّد عليه فأقر بأن سيده انتيپطرس استحضر سماً من مصر ودفعه لفيروراس وقال له متى مضيت أنا على رومية أحتل على الملك وأقتله به فأخذ فيروراس السم واعطاه لأمراته .

فعند ذلك أمر الملك امرأة أخيه باحضار ذلك السم فخافت وأخذت السم وطرحت ذاتها من مكان عالٍ لتموت فلم تمت فأحضرت إلى هيرودس فأمرها أن تصدقه الخبر وتهددها بسوء العقاب ان لم تتكلم الصدق فقالت أيها الملك أن زوجي استدعاني في اليوم الذي مات فيه بعد ذهابك عليه ورجوعك وقال لي قد رأيت ما تفضل به أخى على من محبيته وبكائه لما رآني في حالة التلف وما وعدني به من الجميل لمن اخلفه بعدى وقد كان ذلك الظالك انتيپطرس قد خدعني وكان يقويني فحملني على العزم على قتل أخى وأعطاني سماً قاتلاً لأقتله به وقد كدت أفعل ذلك والآن أسرعى وأتيني بالسم الذي أعطاني إياه انتيپطرس الباغى واسكبيه أمامي لئلا يظفر به انتيپطرس من بعدى فيقتل أخى . ففعلت كما أمرت وإبقيت من ذلك قليلاً لارية لسيدى الملك إذا سألتى عنه ثم أخرجت السم فأمر هيرودس بحفظه وارسل امرأة أخيه إلى منزلها وكتب على انتيپطرس يأمره بالحضور من رومية بدون تأخر فحضر ومعه

رسول من قيصر فلما وصل إلى مدينة قيصرية بلغه موت عمه وسخط أبيه على أمه رسيس فخاف أن يكون أبوه قد أطلع على دسائسه ولم يجسر أن يتقدم وعزم على الفرار فمنعه من كان معه من خدام هيرودس وغلمانه خوفاً من الملك ولأنهم أرادوا أن يرجعوا إلى أهلهم ومنازلهم ثم قالوا لا نتييطرس أن هربت تثبت التهمات التي وقعت عليك فتمسى لا تقدر أن تنجو من يد أبيك فإنه يطلبك حيثما توجهت فالأنسب أن تمضى إليه وتحتج عن نفسك فقبل انتييطرس قولهم ومضى إلى اورشليم فلم يستقبله أحد لما بلغهم من غضب الملك عليه ولأنه كان مكروهاً لخبثه فلما رأى انتييطرس ذلك تحقق غضب أبيه عليه ثم دخل إليه فلما رآه أبوه حول وجهه عنه وقال له أبعد عني يا فاقد كل صلاح أذهب من وجهي أيها العارى عن الإنسانية وأحضر في الغد مع رسول قيصر وأحتج عن نفسك أن كان لك حجة . وفي الغد أمر هيرودس بأحضار قواده وأصحابه فحضرُوا حسب رتبهم وحضر هوراس رسول قيصر ثم نظر هيرودس إلى رسول الملك أوغسطوس وقال له هل سمعت يا هوراس ما فعل أبني انتييطرس إذ طلب هلاكى وأراد قتلى فقال هوراس لا تعجل أيها الملك وأبحث فتحقق الأمر ثم أمر هيرودس بأحضار الكتاب الذى كانت أم انتييطرس قد بعثت إليه به وأتى به إلى الملك قبل أن يصل له فقرئ أمام الجمهور وما يأتى هو مضمونه . أنه قد أنكشف أمرك لدى الملك وعرف أنك عازم على قتله فإياك أن تعود إلى اورشليم بدون جيش جرار من الروم فأنك لا تخلص منه إلا بمحاربته . ثم أمر الملك بإحضار انتييطرس فلما حضر طرح نفسه على رجلى أبيه وبكى وكان يتضرع فأراد من حضر أن يتوسطوا أمره فمنهم هيرودس وأمرهم بالصمت ثم أقبل على هوراس وقال له : لا يجوز لمن

وقف على أعمال انتيپطرس أن يرحمه وقد تمنيت أن أكون بدون ولد مثل هذا الظالم لأن ذلك خير لي من أن أقتله ولقد علمت أنني قتلت ولديّ ظلماً بسببه إذ خدعني بحيله ومكره حتى قتلتها وأحزنت نفسي وفرحتة وتكلم هيرودس كثيراً بمثل هذا الكلام ولما أمسك عن كلامه رفع انتيپطرس رأسه عن الأرض قليلاً كالأسير وطفق يحتج عن نفسه حتى توهم كثيرون أنه مصيب فلم يتنازل هيرودس لجوابته بل أمر كاتبه نيقولاوس أن يجيبه عما تكلم فقال نيقولاوس لا يغركم أيها الحاضرون كلام انتيپطرس وخضوعه فإن ذلك مكر وخبث وخداع وبمثل هذا الكلام قتل أخويه وغيرهما واحتال على فيروراس أخى الملك بما لا يشك في صحته .

وتكلم نيقولاوس كلاماً كثيراً في هذا المعنى بين به ظلم انتيپطرس فقال هيرودس لرسول قيصر انتيپطرس هل بقي له حجة يحتج بها فسأله الرسول فلم يجب بحرف ثم أمر بأن يقيد انتيپطرس فقيد وسجن وذلك سنة ٣ ق ٠ م ولم يزل مسجوناً على أن أمر بقتله كما سيأتي في مكانه .



الفصل العاشر

فيما أجرى السيد المسيح في اورشليم

وما جرى له فيها مدة تردده إليها (١)

أنا لا نعرف إلا القليل عن تاريخ السيد المسيح قبل أن شرع في الوعظ والانداز وجل ما نعرفه عنه إنما هو ما ذكره الأنجيليون (٢) من أنه في السنة السادسة قبل التاريخ المسيحي إذ كانت نوبة زكريا الكاهن في الهيكل ظهر له ملاك الرب وبشره بحبل امرأته اليصابات وأنها ستلد له ابناً وأمره أن يسميه يوحنا فأنكر زكريا ذلك قائلاً للملاك كيف يمكن أن يتم ذلك وأنا شيخ وأمراة متقدمة في السن فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف أمام الله أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته وكان كذلك فأن زكريا بقي صامتاً إلى أن ولد يوحنا .

(١) قد سردنا في هذا التاريخ الحوادث بالتتابع حسب وقوعها وتاريخ حدوثها وإما سيرة السيد المسيح فرأينا من المناسب أن ندرجها وحدها بقطع النظر عما جرى من الحوادث معها في ذلك العصر ثم نرجع إلى إدراج بقية الحوادث بعد ذلك كالماضي.

(٢) متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

وفي السنة الخامسة ولد يوحنا وسموه أولاً بأسم أبيه زكريا أما أمه فلم
ترد هذا الاسم بل قالت يُسمّى يوحنا فأومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسميه
فأخذ لوحاً وكتب قائلاً اسمه يوحنا وحينئذ انفتح فمه ولسانه وتنبأ بأن يوحنا
يتقدم أمام السيد المسيح ليعد طريقه .

وفي السنة الرابعة قبل التاريخ المسيحي بينما كان رعاة متبذّون عند بيت
لحم يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ظهر لهم ملاك الرب وبشرهم
بولادة المسيح معطياً لهم علامة قائلاً أنكم تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في
مذود . وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السموي يسبحون الله قائلين .
المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة . فأسرع الرعاة إلى
بيت لحم ووجدوا الطفل كما قال لهم الملاك فرجعوا فرحين وهم يسبحون
الله . أما دخول المسيح إلى الهيكل المرة الأولى فكان لما تمت أيام تطهير مريم أمه
حسب شرعية موسى فأحضروه أبواه إلى الهيكل ليقدماه للرب فإذا شيخ تقى
أسمه سمعان قد أوحى إليه بالروح القدس أن لا يرى الموت حتى يعاين المسيح
فأخذ الطفل على ذراعيه وبارك الله وقال الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام
حسب قولك لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددت له أمام وجه جميع
الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل . وكانت أيضاً حنة النبية الى
وقفت في تلك الساعة تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في
أورشليم وتم ذلك بعد ولادته بثمانية أيام . وفي ذات هذه المدة جاء أيضاً
مجنوس من المشرق إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود لأننا رأينا
نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له فلما سمع هيرودس ذلك اضطرب مع كل

أورشليم وجمع الكهنة والكتبة وسألمهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا له : فى بيت لحم لأنه هكذا تنبأت الأنبياء فدعا هيرودس الجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر لهم وأرسلهم إلى بيت لحم وأمرهم أن يفحصوا بتدقيق عن الصبى قائلاً متى وجدتموه أخبرونى لآتى أنا أيضاً وأسجد له وكان عازماً على قتله . فذهب الجوس والنجم يتقدمهم حتى وقف فوق حيث كان المسيح فدخلوا البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه فسجدوا وقدموا له هدايا وإذا كانوا عازمين على الرجوع إلى هيرودس ليخبروه أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إليه فساروا فى طريق أخرى إلى أرضهم . وأوحى إلى يوسف فى حلم أن يذهب إلى مصر خوفاً من هيرودس فأخذ الصبى وأمه وذهب به إلى مصر .

أما هيرودس فلما رأى أن الجوس سخرُوا به أرسل فقتل جميع الأطفال الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين وما دون حسب الزمان الذى تحقَّقه من الجوس .

ثم بعد ذلك بزمانٍ يسير مات هيرودس الملك ميتة شنيعة كما سنذكر فتمكن أبوا يسوع من أن يرجعا به إلى وطنهما آمنين ولكنهما عوضاً عن أن يقطنا بيت لحم مدينة داود العظيم الشأن قطنا قرية الناصرة الحاضرة وهناك أخذ ينمو ذلك الصبى العجيب يوماً فيوماً إلى سن الرجولية فى خلوة تحت مأوى الفاقة والفقر آمناً من حسد الحكام والولاة الأرضيين ومقاومتهم وكان مكباً على إطاعة شريعة موسى الألهية ضمن عائلة مشهورة بعظم التقوى وكان ينمو ويستقوى ممتلئاً حكمةً بمناجاته مع أبيه السموى وكانت له تلك الخلوة

كمدرسة رائقة استعد فيها على هدو استعداداً باطنياً لذلك العمل العظيم الذى جاء لأجله وكان معاً أن يجريه فى باقى حياته والذى أثرت نتائجه وأى تأثير فى جميع أمم الأرض وشعوبها وأحوالها وعاداتها . وقد سكت الأنجيليون عن ذكر بقية أخبار يسوع قبل شروعه فى عمله العظيم علناً ولم يذكروا سوى حادثة واحدة أخبرنا بها لوقا البشير بقوله ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعد مع أبويه إلى اورشليم كعادة العيد وبعدما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى اورشليم ويوسف وأمه لم يعلما وإذ ظناهُ بين الرفقة ذهباً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ولما لم يجداه رجعا إلى اورشليم يطلبانه وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعون ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته فلما أبصره اندهشا وقالت له أمه يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين فقال لهما لماذا كنتما تطلباني ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فى مالاى .

ويوم الاثنين فى ١١ نيسان من سنة ٣٠ دخل يسوع اورشليم دخولاً حافلاً وكان يحتف به جمع كثير من الناس فدخل الهيكل ليطرد منه الذين كانوا قد جعلوه مكاناً للبيع والشراء وكان الجموع يصرخون قائلين أوصناً مبارك الآتى باسم الرب .

ويوم الخميس في ١٤ نيسان من السنة المذكورة دخل أورشليم وفي
طريقة لعن شجرة التين ^(١).

ويوم الجمعة في ١٥ منه أخذه الجند إلى بيلاطس البنطي الذي بعد أن
رآه أرسله إلى هيرودس انتيباس ثم أرجعه ثانية إلى بيلاطس وحينئذ صُلب
ويوم الأحد قام من الموت وفي صباح ذلك النهار إذ كانت مريم المجدلية
وغيرها آتين لينظرن القبر وجدن ملاكاً جالساً أمامه وأخبرهنَّ بقيامه المسيح
من الأموات: وبعد ذلك ظهر لهنَّ ثم لتلاميذه مرات كثيرة وبعد قيامته من
القبر بأربعين يوماً ظهر بتلاميذه أيضاً في أورشليم وأخذهم إلى جبل الزيتون
ومن هناك صعد إلى السماء ولم يزل الموضع الذي صعد منه معروفاً إلى الآن
ومن أراد أن يعرف عن تعليمه وأعماله بأكثر تفصيل فعليه بمطالعة الإنجيل ^(٢).



(١) مر ١٢ : ١٣ - ١٤ .

(٢) هذا الباب منقول من نص الأناجيل وجميعها متضارب في نسب المسيح .

الفصل الحادى عشر

حالة أورشليم

عند موت هيرودس الكبير وخلافه أبنه أرخلاوس

فلنرجع الآن إلى ما كنا فى صدره فنقول : أنه فى السنة الرابعة قبل التاريخ المسيحى أى السنة التى ولد المسيح فيها مرض هيرودس الملك وكان مرضه يزداد يوماً فيوماً فطلب الموت ليستريح من أوجاعه ولم يفز به ثم أنه طلب تفاحة وسكيناً يقشرها بيده ولما أخذ السكين رفعها بيده ليقتل نفسه بها فبادر الغلمان إليه وأخذوها منه فعلاً الصراخ بسبب ذلك فظن الناس أن الملك مات فبلغ انتيپطرس وهو فى السجن ذلك فسر وفرح وطلب من الموكل به أن يطلقه فلم يجسر أن يطلقه قبل أن يتحقق موت الملك فلما علم الموكل به أن الملك حي ذهب إليه وأخبره بأمر انتيپطرس وما أظهر من سروره إذ بلغه خبر موته فغضب وأمر بقتله فقتل وأمر أن يمحي اسمه من كتاب العهد ويكتب مكانه أرخلاوس بن هيرودس ليكون له الملك بعد موته ثم مات بعد قتل انتيپطرس بخمسة أيام وله من العمر ٧٠ سنة وكانت مدة ملكه سبعة وثلاثين سنة وكان ملكاً مهاباً ذا سطوة وقد كان مع ذلك عسوفاً متمرداً. وقد قتل فى حياته مالا يحصى من الأنفس وكان قد أوصى أبنه أن يقتل بعد موته جميع

المسجونين ليكون البكاء عمومياً في كل منزل لأنه كان يعلم أن الناس يسرون بموته . غير أن أبنه خالف هذا الأمر وأطلق جميع المسجونين .

وبعد موت هيرودس قرأ نيقولاوس كتاب العهد على جمهور الأهالي وفيه ختم الملك وأن أرخلاوس يتولى الملك بعده فملكوه عوضاً عن أبيه ومضوا هم وإياه ودفنوا الملك وكانوا قد وضعوه في سرير من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة والبسوه تاج الملك وأمسكوه صولجان الذهب بيده وسار بنوه أمامه وكانت الجنود سائرة معهم بأسلحتهم فدفن بإكرام واحترام .

أما أرخلاوس فملك سنة ٣ بعد المسيح وإذا كانت أخلاق أبيه ذميمة خاف كثيرون أن يكون كأبيه فنبذوا طاعته فقتل منهم جمعاً وذهب منهم قوم إلى أوغسطس وأخبروه بما كان يجري في أيام هيرودس وطعنوا في أبنه أرخلاوس وقالوا له أنه قتل كثيرين منا وقد ملك بغير أمرنا وأكثرنا من الطعن فيه وطلبوا إليه أن يملك عليهم ولاية من أصحابه وكان أرخلاوس قد مضى أيضاً هو ونيقولاوس كاتب أبيه فتكلم نيقولاوس أمام قيصر وقال أن اليهود لا يريدون أن يملك أرخلاوس لأنهم يريدون أن يعصوا الرومان ولو لم يكن ذلك لما تمنعوا عن الخضوع لابن هيرودس الذي كان طائعاً للرومان فقبل أوغسطس كلامه وأتفق مع الشيخ الذي في رومية على تثبيت أرخلاوس في الملك خاصة لأنه كان قد ورد خبر إلى قيصر بأن اليهود قد عزموا على مخالفة الروم فتوجه وأمره بالرجوع إلى اورشليم فلما تم له الملك أساء السيرة بين اليهود وفعل أفعالاً قبيحة منها أنه قتل ثلاثة آلاف من رعاياه

فـى وقت واحد وتزوج بأمرأة أخيه إسكندر المقتول فلما بلغ قيصر أفعاله
الذميمة أرسل أحد قواده وقبض عليه وذهب به إلى رومية ثم نفى إلى فيانا من
أعمال فرنسا حيث بقى على أن مات وكانت مدة ملكه سبع سنين .

وبعد أرخلاوس ملك فى أورشليم قائد رومانى يدعى بوبليوس وذلك
سنة ١٢ ميلادية وبعده تولى ولاية رومانىون غيره إلى أن تولى بيلاطس
البنطى الذى فى أيامه صُلب المسيح كما ذكر وسيأتى الكلام بهذا الشأن .



الفصل الثانى عشر

حالة أورشليم

مدة تولى بيلاطس البنطى عليها وتولى غيره من الولاة الرومانيين

ولاية الجليل الذين هم من نسل هيرودس الكبير

وسنة ٢٦ بعد المسيح ولى طيبار يوس قيصر الرومانى بيلاطس البنطى على اليهودية وأرسل معه مثالة لقيمة فى أورشليم ليعبدوا الناس وأصبحه بأمر إلى اليهود فيه يعرض عليهم بأن يسجدوا لهذا الصنم . وبعد أن نصبه قتل كثيرين من الذين لم يسجدوا له وقد حاول جلب الوية وبيارق رومانية إلى أورشليم لكن اليهود قاوموا ذلك . وأشتكى له اليهود فى سنة ٣٠ على المسيح قائلين أنه قال أنى ملك اليهود وإذا أحضر إلى بيلاطس ولم يجد فيه علة تستحق الموت أخذ ماءً وغسل يديه وقال أنى برئ من دم هذا الصديق . وفى عيد الفصح إذ كان معتاداً أن يطلق لهم مسجوناً من ارادوه ساهم من تريدوا أن أطلق لكم يسوع أو باراباس (أحد المسجونين بسبب سرقة) فأجابوا باراباس فأطلقه وأما يسوع فسلمهم إياه للصلب .

وسنة ٢٧ ميلادية كان هيروس انتيباس ابن هيروودس الكبير والياً على الجليل وكان محباً لرعاياه وهو الذى بنى مدينة طبريا وتزوج بابنه أرتيباس ملك العرب ثم طلقها ونتج من ذلك بينه وبين أبيها حروب كثيرة ثم أنه تزوج بهيروديا امرأة أخيه فيلبس إذ كان لم يزل حياً وقد ضاؤ يوحنا بن زكريا بحرارة هذا الزواج وبسبب مقاومته أمر بسجنه وذلك سنة ٢٨ ميلادية.

وسنة ٢٩ ميلادية إذ كان تذكّار مولده رقصت ابنة هيرووديا امرأة أخيه فيلبس فسرت هيروودس ولذلك وعد بقسم أنه يعطيها كل ما طلبت وإذا كانت قد تلقنت من أمها طلبت رأس يوحنا المعمدان بن زكريا فأرسل وقطع رأسه فى السجن فأحضر على طبق ودفع لها وإذا بلغ ذلك تلاميذه تقدموا وأخذوا الجسد ودفنوه . ثم أن الدولة الرومانية نفت هيروودس المذكور إلى ليون من فرنسا لأنه أقيم بالمداخلات فى مؤامرات سرية وذلك سنة ٣٩ ميلادية .

وبين سنة ٣٠ و ٣٧ ميلادية بعد صعود المسيح إلى السماء أجرى تلاميذه أموراً وعجائب كثيرة منها أنه إذ وشى بهم إلى رئيس الكهنة وأتباعه فى أورشليم وسجنوا فى الليلة التى سجنوا فيها أتى ملاك الرب من السماء وأخرجهم من السجن والأبواب مغلقة وأمرهم أن يبشروا بالمسيح علانية فى وسط الهيكل فكان كما أمرو فى اليوم الثانى إذ طلب رئيس الكهنة أن يحضروهم أمام الجمع ومشیخة بنى إسرائيل ذهبوا إلى السجن فرأوا الأبواب مغلقة ولم يجدوا أحداً فيه فلما سمع رئيس الكهنة وقائد الجند أرتابوا من ذلك .

وفي ذلك الوقت أتى رجلٌ وأخبرهم بأن الذين سجنتموهم بالأمس هم الآن في الهيكل يعلمون الشعب فأحضروهم وقالوا لهم ألم نقل لكم أن لا تبشروا بهذا الاسم فقالوا لهم ينبغي أن يطاع الله أكثر من الإنسان فحنقوا عليهم وأرادوا قتلهم وكان حاضراً رجلٌ اسمه غملائيل فأشار عليهم بأن يتركوهم قائلاً أن كان هذا من الله فلا يمكنكم أن تقاوموه وإن كان من الناس فسوف يتلاشى من ذاته .

وفي سنة ٣٧ ب . م أقام اليهود اضطهاداً على الكنيسة وقتلوا اسطفانوس رجلاً بالحجارة (ولم يزل الموضع الذي رجموه به معروفاً إلى الآن يقصده السائح) وإذ كان هذا الاضطهاد شديداً التزم جميع الذين آمنوا بالمسيح ما عدا تلاميذه الاثنى عشر أن يتشتتوا في كور اليهودية والسامرة وكانت الرسل تجرى عجائب كثيرة .

وفي هذه السنة : إذ كان وزير كنداكة ملكة الجيش قد سجد في أورشليم بينما هو راجع لاقاه فيلبس بأمر ملاك الرب إلى الطريق وبشره بالمسيح فأمن . ثم عمدته واختطف عنه ولم يعد يراه أما فيلبس فوجد في أشدود .

وسنة ٣٨ بعد الميلاد إذ عامل بيلاطس السامريين معاملة ظالمة طُلب إلى رومية وحكم عليه بالنفي إلى فيانا من فرنسا ويظن أنه قتل نفسه ياساً وخيبة .

وفي هذه السنة : ملك في أورشليم كرسى اليهودية هيروودس أغريباس حفيد هيروودس الكبير وكانت ولادته سنة ٧ قبل المسيح وموته سنة ٤٤ بعد

المسيح وقد تربى في رومية وملكة أوغسطس قيصر فسرَّ حكمه اليهود ولأجل أرضائهم قتل يعقوب الرسول أخا يوحنا وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس الرسول ليقدمة ضحية لهم بعد الفصح فخلصه ملاك الرب من السجن^(١) وإذ كان يقام العابد في عيد إكراماً لقيصر آتى إليه أهالى صور وصيدا يلتمسون رضاؤه لأنه كان ساخطاً عليهم فصفح لهم. وفى يوم معين توشح بملابسه الملكية وخاطبهم من عرشه فمجدوه كاله فقبل ذلك بفرح وبسبب افتخاره ومات للحال ميتة شنيعة سنة ٤٤ ميلادية وهى السنة التى بها قتل يعقوب وسجن بطرس المذكورين وقد حكم سبع سنين .

وسنة ٤٠ ميلادية أمر كليغولا بترونيوس الوالى أن يضع تمثالة فى هيكل اورشليم ويتوسط هيرودس أغريباس بطل هذا الأمر .

وفى سنة ٤٤ ميلادية وهى السنة الثانية من ملك نيرون قيصر قُتل يوثار رئيس الكهنة ومات فستس فثار اليهود على من كان فى القدس من النصارى وهدموا البيعة وأخذوا الصليب ودفنوه فى الأرض وأخرجوا النصارى من القدس لعشر من ملك نيرون فأجازوا الأردن وأقاموا هناك وكان ذلك واسطة لخلاصهم من حرب تيطس .

وسنة ٤٥ ميلادية تولى اليهودية كوسيوس فارس الرومانى من قبل الدولة الرومانية وفى أيامه حدثت مجاعة عظيمة فى كل اليهودية .

(١) سفر أعمال الرسل الإصحاح الثانى عشر .

وسنة ٤٦ ميلادية. طُلب إلى رومية وقد وُلّت الدولة الرومانية على اليهودية تيباريوس اسكندر عوضاً عنه .

وسنة ٤٧ ب . م تولى وانتيديوخ كومانوس اليهودية وقد حدث في أيامه اضطرابات كثيرة وإذ لم يحسن السياسة أرسلت الدولة الرومانية عوضه فيلكس الوالى وذلك سنة ٥٣ ميلادية .

وسنة ٥٨ ميلادية للمسيح رجع بولس الرسول إلى أورشليم بعد أن كان جائلاً من مكان إلى آخر مبشراً بالمسيح ولما دخل الهيكل وكان يبشر هاج الشعب عليه وضربوه ثم أخرجوه خارج الهيكل وعزموا على قتله وإذ بلغ الأمير ذلك أخذ عسكرياً وسار إليهم فلما رأوه كفوا عن ضربه ثم أمر الأمير أن يقيّد بالسلاسل ويؤخذ إلى المعسكر وبعد أن احتج بولس لدى الشعب ولدى المجمع عزم اليهود على عمل كمينٍ لقتله وإذ بلغ ذلك الوالى أرسله ليلاً مع مئتي عسكري وسبعين فارساً ومئتي رامح إلى قيصرية^(١) إلى فيلكس الوالى وقد ابتدأت الفتن التى كانت بداية خراب أورشليم من أيام

(١) وهى قيصرية فلسطين كانت مقراً لولاية فلسطين الرومانية بعد سقوط أورشليم . حسن بناءها ووسعها هيرودس الكبير سنة ٣٣ ق . م وسميت قيصرية فلسطين تمييزاً بينها وبين قيصرية فيلبس التى تسمى الآن بانياس وهذه أى بانياس موقعها فى أعلى الحولة يخرج منها النهر البانياسى من مغارة كانت مكرسة لمعبود من معبودات الرومانيين اسمه يان ومن ذلك تسمية المكان بان ياس ويصب هذا النهر فى بحيرة الحولة وفيها آثار هيكل بناء هيرودس ملك أورشليم على اسم أوغسطس قيصر وفيها أيضاً قلعة من بناء العرب مبنية من الحجارة الصلبة والكبيرة .

أغريباس بن أغريبا ابن أرسطوبولوس وكان حدوثها في جميع بلدان اليهودية وفي بلاد الشام ودامت واتصلت وتحرك المتغلبون والخوراج^(١) وزاد الشرق والفسق وربطت الطرق وكان الشر يزيد والخير يقل داخل المدينة وخارجاً بين اليهود وبين الرومانيين وكانوا يقتلون بالسكاكين كثيرين بحيث لا يعرف القتاتل من الازدحام ولما كثر الشر لم يعد أهل الصلاح يريدون السكنى في أورشليم فأجتمع كثيرون وخرجوا بما لهم فذهب قوم من الأشرار وأخبروا فيلكس صاحب الرومان بأن قوماً من اليهود خرجوا من أورشليم ولم يخرجوا إلا لأنهم يريدون أن يعصوا على الرومان فوجه فيلكس قوماً فقتلوا أكثرهم وأسروا من بقى وكان ذلك الوقت كاهنٌ كبيرٌ على اليهود اسمه حناني وله ولد اسمه العازر كان جباراً شجاعاً فاتكاً وكان قد انضم إليه كثيرون نظيره فكانوا يمشون إلى مدن سوريا وينهبون ويقتلون ما شاءوا فلما اكثروا من القتل والنهب والفساد استغاث السريان بفيلكس^(٢) صاحب الرومان فاحتال فيلكس عليه وقيدته وأرسله إلى رومية وقتل أصحابه وبعد مدة عاد العازر إلى أورشليم . وذهب أغريباس ملك اليهودية إلى رومية ليسلم على نيرون قيصر فحدثت في غيابه حروب كثيرة بين اليهود الذين كان في مقدمتهم العازر والرومانيين أتباع فيلكس وذلك لأن فيلكس جار على اليهود وظلمهم وبعد حروب كثيرة غلبوه وهزموه وقتلوا كثيرين من أتباعه وطردها من بقى في أورشليم فسار فيلكس إلى مصر والتقى هناك باغريباس راجعاً من رومية إلى

(١) وهم ثلاثة العازر ويوحانان وشمعون وكان لكل منهم حزب .

(٢) عاملٌ على معاضدته في سبيل انفاذ مآربه وكانوا سبياً لحزب أورشليم .

أورشليم ومعه قائدان رومانيان ومعسكر عظيم فأخبره فيلكس بما جرى عليه وعلى أصحابه من العازر ورفاقه وبعد ذلك سار اغريباس إلى أورشليم فأستقبله الأهالي بكل إكرام ولقبهم اغريباس بالجميل وسأهم عن أحوالهم فأخبروه بما فعل فيلكس بهم وطلبوا أغاثته على الرومان وقالوا له أنا لا نطيعهم فيما بعد ولا نخضع لأوامرهم فأغتم اغريباس لسبب الضيق الذي جرى عليهم وشق عليه مخالفتهم الرومان لأنهم بذلك يعرضون أنفسهم للهلاك فإلطف بهم وسكتهم بسبب الرومان الذين جاءوا معه دخل الهيكل وكان الشعب يضج بالعصيان عليهم فأمر اغريباس أن يسكت الجمع ثم قال لهم قد فهمت ما فعلوا بكم ولكن لا جيلة لنا بهم ولا بد لنا من مداراتهم لأن الله قد سلطهم على الدنيا بأسرها وأذل لهم جميع الأمم وما نحن أقوى من جميع الذين خضعوا لهم وإذا أظهرتم العصيان تحركون قيصر إلى محاربتكم لأن الجميع يطيعونهم وليس الروم مثل العرب والسريان وأهل أدوم الذين حاربتهم وعرفتم قتالهم بل هم أشد بأساً من جميع الذين حاربتهم وأن أتكلم على حصونكم فما هي أعظم من الحصون التي قد فتحوها . ومع ذلك فأنا أكتب إلى قيصر بما فعله أصحابه وأطلب إليه أن يرسل إليكم من خيار قواده ويأمرهم بأن يحسنوا إليكم والصواب أن تقيموا على ما كنتم عليه من الطاعة له . وأنتم تعلمون أن قوماً بينكم يريدون الشر ويسرهم أن تحدث الفتن حتى يسرعوا إليها فإذا سهلتهم السبيل لذلك قويت شوكتهم وانبسطت أيديهم على أهل الخير فأهلكوهم ثم تنالون ما تكرهون وتبلغ أعداؤكم فيكم ما لا تحبون فتندمون حيث لا ينفع الندم ثم بكى اريباس أما العزر بن حناني الكاهن وأصحابه فلم يقبلوا بذلك وأضمرُوا مخالفة الرومان . وفي ذلك الوقت أرسل

نـيرون قيصر هدية إلى بيت الله حسب ما كان ملوك رومية يفعلون فأخرج العازر تلك الهدايا وطرحها خارجاً ومضى مع أصحابه وقتلوا القواد الذين جاءوا مع اغريباس وقتلوا من كان في أورشليم من الرومان ولم يعلم اغريباس بذلك لأنه كان مقيماً مع عسكريه خارج المدينة فلما علم شيوخ المدينة وأكابر الناس بذلك استعظموا الأمر وخافوا من عاقبته وكتبوا إلى اغريباس يعلمونه بذلك فأرسل إليهم قائدين ومعهما ثلاثة آلاف رجل فأسعفوا شيوخ المدينة وكانت حرب دامت سبعة أيام فظفروا بالعازر وأتباعه فانهمزوا إلى فسحة الهيكل فتبعوهم وهناك جرى قتال عظيم فالتحمت السيوف والحرايب بينهم واشتدت وكان مع أصحاب العازر جماعة يحملون سبكاكين فدخلوا بين القوم والقوم لا يعلمون أن معهم سلاحاً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهرب رجال اغريباس والشيوخ وأهل السلامة وأقاموا خارجاً مع اغريباس . فقويت يد العزور وحرق قصر الملك وقصر أبيه واستولى على المدينة .

ولما رأى اغريباس ذلك ذهب إلى نـيرون قيصر وأخبره بما جرى فغضب وكتب إلى كسينا صاحب جيشه يأمره بالمسير مع اغريباس إلى القدس ليرد اليهود إلى طاعته وكان كسينا في الشام راجعاً منصوراً من حرب العجم وقد بلغه ما فعله العازر من مخالفته قيصر فغضب من ذلك ولما جاء إليه اغريباس وأخبره بما أمره قيصر به عن مسيره معه لمحاربة اليهود فرح كسينا بذلك لأنه كان يريد الانتقام من اليهود فجمع عساكر كثيرة وسار مع اغريباس وحرق مدن اليهود التي كانت في طريقه وقتل أهلها ولما وصل إلى أورشليم لقيه العازر فتحاربوا وكانت الغلبة لكسينا واغريباس وبعد ذلك

طلبوا من العازر الصلح فأمتنع وقتل الرسل ثم جمع رجاله ومن أنضم اليهم
وخرج في اليوم الرابع من المدينة وقتل من الروم ألفاً كثيرة فلما رأى كسبينا
شدة باس اليهود خاف ولما صار الليل فرّ برحاله بعد أن أمر نحو أربعين رجلاً
أن يشعلوا النار وينفخوا في الأبواق الليل كله ليظن اليهود أنه باقٍ أمام
المدينة. فلما علم العازر بذلك خرج في أثرهم إلى قيصرية فحاربهم وهزمهم
 وقتل منهم خلقاً كثيراً فهرب كسبينا ومن بقى من ارفاقه إلى رومية .



الفصل الثالث عشر

حالة أورشليم

فى ابتداء دخول وسبسيانس الرومانى إليها

وسنة ٤٧ ب ٠ م لما وصل كسبينا ومن معه إلى رومية وأخبروا نيرون قيصر بذلك عظم عليه الأمر. وفى ذلك الوقت ورد إليه خبر بأن الفرس عصت عليه بعد رجوع كسبينا فقلق من ذلك . وكان قبل ذلك قد وجه قائداً عظيماً يقال له وسبسيانس إلى بلد المغرب والأندلس ففتحها وأستولى عليها ثم عاد إلى رومية فى ذلك الحين فأمره أن يسير بجنوده إلى اليهود ويفنيهم ويخرب بلدانهم ويهدم حصونهم المنيعة فسار وسبسيانس من رومية ومعه ابنه تيطس واغريباس الملك فى عسكر كبير فيه أكثر فرسان الرومان وشجعانهم وجبابرهم فلما أنتهوا إلى انطاكية بلغ اليهود ذلك فتهيأوا لمحاربتهم وقسموا بلادهم ثلاثة أقسام وأختاروا ثلاثة من الكهنة الشجعان وأصحاب الرأى الحسن فالأول من هؤلاء الثلاثة يوسيقوس الكاهن أى يوسف بن كربون وهو يوسيفوس المؤرخ الصادق الشهير والثانى حنانى الكاهن والثالث العازر بن حنانى وجعلوا الكل من هؤلاء قسماً من الأقسام التى قسموها وأعطوا ذلك بالقرعة فكانت أورشليم وكورها لحنانى الكاهن الأكبر . وبلاد أدوم لابنه

العازر وطبرية وجبل الجليل ليوسيفوس فقوى أمر هؤلاء الثلاثة بالمال والعساكر والسلاح وتوجهوا إلى إصلاح مراكزهم .

وفي هذه المدة إذ كان نيرون قيصر قد أصدر أمراً بأن يسجد لله كمعبود تمنع اليهود عن ذلك وأرسلوا إليه إلى رومية رجلاً فاضلاً اسمه فيلو وقالوا له لا يمكننا أن نسجد لغير الله ولا نعبد سواه فأستشاط نيرون غيظاً وسمع فيلو كلاماً مهيناً فخرج وأخبر اليهود رفقاءه بما جرى فأجتمعوا مع اليهود الذين في رومية وطلبوا إلى الله أن ينجيهم من هذه البلية ففي اليوم الثالث ثارت جيوش نيرون عليه لشدة ظلمه وهجمت عليه وقطعته بالسيوف وطرحته أمام الكلاب ولم يدفن وملك بعده غلبا قيصر فأحسن إلى فيلو وجماعته وأذن لهم بالرجوع إلى اورشليم فرجعوا ثم هدموا ما كان أصحاب نيرون قد بنوه من المذابح ومحووا أثارها وكان ذلك سنة ٦٨ ب ٠ م .

أما حناني الكاهن أحد القواد الثلاثة فإنه عمر أسوار اورشليم ورفعها وجعل فيها الرجال والعِدَد الكثيرة . وأما يوحانا الخارجي فدخل اورشليم وأجتمع إليه قومٌ فقوى بهم وانبسطت يده على أهل المدينة وقبض على أصحاب الأموال وأخذ أموالهم وأرتكب القبائح وطلب إلى الشيوخ أن يسعفوه على تنفيذ مآربه ولما أمتنعوا عن اطاعته قتل كثيرين منهم فتمنى الشعب أن يأخذ الرومان المدينة ليستريحوا من شره فلما عظم أمره أجمع رؤساء المدينة الذين كانوا مع حناني الكاهن وأنضم إليهم قومٌ فحاربوا يوحانا وعظمت الحرب بينهم وكثرت القتلى من الفريقين فأهزم يوحانا وأصحابه إلى

القدس وتحصنوا فيه فكره حناني أن يقام قتال في بيت الله ولذلك أمر رجاله أن يكفوا عن القتال بعد أن وكل نحو ستة آلاف بحراسة يوحانا حتى إذا خرج هو أو أحد أتباعه يقبضون عليه وطلب حناني من يوحانا الصلح فأبى لأنه آتى من أدوم نحو ٢٠ ألف رجل بالسلاح والعدد فأغلق حناني أبواب المدينة وسأهم من داخل السور عن مرادهم فقالوا أننا أتينا لنسجد لله وكان أهل أدوم يحفظون دين اليهود من عهد الملك هركانوس فقال ولم أتيتكم بمضا السلاح فقالوا خوفاً من الرومان فأجابهم قائلاً قد بلغني أنكم قادمون لمعونة يوحانا فالأولى بأن تعينوا أهل الصلاح على قوم الفساد لأنهم قد ظلموا وقتلوا وأرتكبوا الحرام وجرى بينهما كلام طويل .

قال يوسفوس وبينما هما يتكلمان عند المساء وإذا برعد عظيم وبرق هائل وأصوات مخيفة ومطر كثير وبرد كبير تتطاير منه شرارات نارٍ محرقة فلم يستطع حناني الثبوت على الحسن فرجع إلى منزله ولما بلغ يوحانا الخارجي رجوع حناني عن الحصن ورجوع المحافظين على القدس مضى هو ورجاله وكسروا الأبواب وأدخلوا الأدوميين فصاروا معهم وقتلوا نحو خمسة آلاف من المدينة ونهبوا ماشاء وفي تلك الأيام ظهر شمعون الخارجي وفعل كيوحانا فطرده حناني من المدينة فمضى إلى إحدى الضيع وأجتمع إليه نحو ٢٠ ألفاً فلما بلغ أهل أورشليم ذلك أرسلوا جيشاً لمحاربتهم وكسرهم ورجعوا إلى أورشليم .

ثم جاءَ شمعون إلى أورشليم وحمل عليها فكان يوحانان يحارب أورشليم
من داخل وشمعون يحاربها من خارج ثم طلب إليه أهل أورشليم أن يدخل
المدينة ويسعفهم على يوحانان ظناً منهم بأنه يكفيهم شره فدخل المدينة بعد أن
عاهدهم على أن يحسن السيرة معهم ويعينهم على يوحانان فلما دخل المدينة
نقض عهده واضربهم ولم ينفعهم وحدثت حروب طويلة بينه وبين يوحانان .

وسنة ٦٩ ميلادية ورد خبر لوسبسيانس أن أوثون الذى ملك بعد
غلبا قيصر قد مات وأن أصحابه ملكوه عليهم فرجع إلى رومية وأخذ معه
نصف عسكره بعد أن سلم قيادة النصف الآخر لابنه تيطس .



الفصل الرابع عشر

حالة أورشليم

فى حصار تيطس وحروبها الداخلية

وعظمت الحروب واشتدت الفتن ولم تقطع بين يوحانان وشمعون لا صحواً ولا ليلاً ولا نهاراً وكان العازر بن حناني وهو من الخوارج الثلاثة غائباً فرجع فى ذلك الوقت . وكان هؤلاء الخوارج الثلاثة يحاربون بعضهم بعضاً ويحاربون شعب اليهود أيضاً حتى كانت أورشليم ميدان حرب متواصلة فكثرت القتلى فى الشوارع والأزقة وفى نفس القدس ولم تعرف كميتهم وكثرت دماء المقتولين فأكتسبت الأرض دماءً وكانت جثث القتلى تتساقط بعضها على البعض الآخر فأنتنت المدينة وكثرت بها الأمراض البوائية وهكذا كان فى المدينة أربع آفات عظيمة وهى القتل والحريق والجوع والمرض فكره الناس الحياة وتمنوا لأنفسهم الموت وسنة ٧٠ ميلادية إذ كان تيطس يرغب فى إنهاء حرب اليهود ليسير إلى أبيه وكان وقتئذٍ مقيماً فى قيصرية مضى بستمائة فارس إلى أورشليم لينظر حصونها وأحوال المدينة فرأى أن أبوابها مغلقة فرجع إلى عسكره وكان قد بلغ قدومه مع قوماً من الخوارج فكمنوا له فى إحدى المواضع ولما وصل فمض الكمين إليه وجرت بينهما حرب فلم ينبج من الهلاك إلا بصعوبة كلية وبذلك الوقت شاهد من بسالة اليهود ما لم يكن ينتظره .

وفي اليوم الثاني زحف تيطس بجيوشه على اورشليم ونزل بعسكره على جبل الزيتون ليكون وادي يهوذا فاصلاً بينه وبين اليهود ورتب عساكره وأمرهم بالتعاون والتعاضد وقال لهم : أنكم ستحاربون قوماً لم تقاتلوا مثلهم وقد شاهدت أمس من شجاعتهم ما دلى على عظم بأسهم ولما أصبح أهل اورشليم ونظروا جيوش الرومان في جبل الزيتون اجتمع رؤساء الخوارج وأعتصبوا على الرومان وعزموا على اتحاد نيران الحروب الداخلية ثم اجتمعوا وخرجوا إليهم وحدثت حرب مهولة قتل فيها خلق كثير من الفريقين وانتصر الرومان على اليهود فرجعوا إلى المدينة ثم أرسلوا جيشاً لمحاربتهم من الجهة الأخرى ليجعلوهم في الوسط فتم ذلك وفاز اليهود في تلك المعركة وثبت تيطس ذلك اليوم بعد أن قُتل من رجاله كثيرون ثم عاد اليهود إلى اورشليم ونقض الخوارج المعاهدة التي كانت بينهم لأن يوحانان كان يريد الرياسة وشمعون والعازر لم يوافقاه. وإذا كان الفصح دخل يوحانان مع أصحابه إلى القدس مجردين عن السلاح الظاهر متقلدين بأسلحة خفية فسر الناس بقدمهم ولم يظنوا بهم السوء فلما توسطوا القدس اشهروا السلاح وأخذوا في القتل بدون رحمة ولا شفقة وهكذا اشتدت الحرب داخل القدس بين الخوارج وإذا بلغ تيطس ذلك زحف بعساكره إلى المدينة فتقدم إليه قوم من اليهود وقالوا له : أننا نفتح لك الأبواب بشرط أنك لا تسيء إلينا وتخلصنا من هؤلاء الخوارج فلم يثق تيطس بكلامهم لما كان قد رآه من خبثهم. وجرت واقعة بين اليهود والرومان بدون أمر تيطس فأنكسر الرومان ورجعوا إلى معسكرهم .

ثم تقدم تيطس وكانت اليهود مشغلة بمحاربة بعضها بعضاً فكان متى رأى الخوارج أن الرومان تقدموا إلى المدينة وقوى أمرهم يرفعون الحرب من بينهم ويحاربون الرومان وبعد أن يهزموهم يعودون إلى محاربة بعضهم بعضاً فجرى أمرهم على هذا المنوال أياماً . ثم وجه تيطس نيكاتور أحد قواده لسيخاطب اليهود بالصلح فرمأه بعضهم بسهم قتله به فغضب تيطس وأمر بإحضار الكباش وآلات الهدم وصنع أبراجاً من خشب تسير بعجلات فحارب اليهود وشدد الحصار فلما عظم الأمر عليهم اضطلحت أحوالهم وخرجوا إلى الرومان فحاربوهم وحرقوا الكباش والآلات وتلك الأبراج وقتلوا منهم جماعة وأبعدوهم عن الحصون ثم رجعوا إلى محاربة بعضهم بعضاً وقويت الفتن وشغلوا عن محاربة الرومان . ثم جدد تيطس الكباش وأمر أن تدفع على السور دفعة قوية فسقط جانب منه فهرب من كان داخله إلى السور الثاني وكان للمدينة ثلاثة أسوار الواحد بعد الآخر ثم أمر تيطس أن ينقل السور الذي هدم إلى بعد ليوسعوا تلك الثلمة ويتمكنوا من القتال فلما رأى الخوارج أن السور الأول قد هدم جددوا الصلح وتعاهدوا برفع الحرب من بينهم ونهضوا لمحاربة الرومان ففرقوا أصحابهم من كل الجهات وأشدت القتال بين اليهود والرومان وعظم الخطب لأن تيطس تولى قيادة الجيش بنفسه وكان يشجع أصحابه ويعدوهم بالجوائز وكان شمعون ينادى بأن من أئزم قتل فكانت الحرب شديدة وأمر تيطس بدفع الكباش على السور الثاني فأهدم منه جانب وبادر اليهود إلى المواضع التي هدمت فثبتوا هناك ولم يدعوا الرومان يدخلون . وفي اليوم الرابع ورد إلى تيطس جيش عظيم من أمم اجتمعوا إليه فخرج اليهود لمحاربتهم فلم يكن لهم طاقة على الثبات فكسروهم الرومان وأرجعوا إلى الحصن فدخلوا

وأغلقوا الأبواب . وفي تلك الأيام أى فى شهر تموز ابطلت الذبيحة الدائمة .
أما تيطس فبعد هذه النصره أمسك عن الحرب خمسة أيام وأحب أن يلاطف
اليهود ويرجعهم إلى طاعته آمين فراسلهم بذلك فلم يجيبوا طلبه ثم ركب
تيطس وتقدم إلى الحصن فوجد يوحانان وشمعون وأصحابهما قد خرجوا
ليحرقوا الكباش وغيرها من آلات الحرب التى صنعها الرومان لهدم الحصن
فبادر إليهم ولا طفهم وحياتهم بالسلام وقال لهم : قد رأيتم ما صنعنا وقد
هدمنا سورين ولم يبق إلا سور واحد هدمته سهل علينا فأرجعوا إلى ما كنتم عليه
قبل أن نأخذ المدينة بالسيف ونهدم الهيكل . وبعد أن خاطبهم كثيراً أمر
يوسيفوس أن يخاطبهم بهذا الشأن وكان (يوسيفوس قد أسر فى الحروب التى
جرت بين تيطس واليهود فى الجليل) فتقدم إلى الحصن وأخذ يخاطب الشعب
ويحثهم على الطاعة وقال لهم : أنكم أن لم تطيعوا لهم تصبح مدنكم مدثورة
ونساءكم أرامل ورجالكم قتلى ويهدم القدس فلما سمع الخوارج كلامه
شتموه وأسمعوه القبيح ورموه بالحجارة فتباعد عنهم قليلاً وأغلظ لهم الخطاب
وبعد أن تكلم طويلاً بالقساوة قال لهم : أيها الأخوة إلا تشفقون على هذا
القدس الشريف فأن كنتم لا تشفقون عليه فأشفقوا على أنفسكم ونسائكم
وأولادكم لأنكم أن لم تسلموا فلا بد من هدم مدينتكم وإبادتكم فتندمون إذ
لا ينفع الندم فأن كنتم تظنون أنى أخدعكم وأريد أسعاف الرومان عليكم
فأنكم تعلمون أن أبى وأمى وزوجتى وأولادى عندكم فإن ظهر لكم من تيطس
بعد طاعتكم له ما يخالف كلامى فأقتلوهم وأقتلونى فقد رهنت دماءهم ودمى
على ذلك . ثم بكى يوسيفوس بكاءً شديداً وكان تيطس يسمع كلامه فرق له
قلبه وأمر بإطلاق كل الأسرى من اليهود فرغب أكثر أهل المدينة فى طاعة

تيطس وآثر بهم كلام يوسيفوس وعملوا على قبول كلامه فمنع الخوارج ذلك وشدّدوا التحفظ على الأبواب وأمروا البوابين أن يقتلوا كل من أراد الخروج من اليهود إلى الرومان فأشدّ الحصار وقل الطعام وأشدّ عليهم الجوع وكان الخوارج يأمرّون أصحابهم بتفتيش منازل الناس وأخذ ما يجدون عندهم من الطعام وقتل من يمانعهم فكان يحتال كثيرون من اليهود بالخروج إلى ظاهر المدينة ليتناولوا شيئاً من نبات الأرض ليقتاتوا به ، وكان الرومان يقتلون من يجدونه ويصلبونه فلما رأى الخوارج ذلك أقبلوا هم أيضاً يقتلون كل من ظفروا به من اليهود الذين أرادوا أن يستأمنوا للرومان ويصلبوه على سور المدينة لينتظرهم الرومان فقتل بذلك خلق كثير فرق قلب تيطس لهم ونهى أصحابه عن صلب من يقبضون عليه وخاطب تيطس اليهود بالحسنى وكان يحسن إليهم وكان الخوارج يزيدون بذلك قساوة ويشتمونه ويخاطبونه بالقبيح وكان قصدهم بذلك أغاظته لينقطع عن مخاطبة أهل المدينة خوفاً من أن يميلوا إليه .

فلما رأى تيطس أن كلامه وترفقه لم يأتيا بنتيجة عمل على هدم السور الثالث وفتح المدينة ليخلص أهلها من أولئك الخوارج القساة فقسم عسكره أربعة أقسام وجعلهم في جهات المدينة الأربع ونصب كباشاً ليضرب بها السور فخرج إليهم الخوارج وأصحابهم كالذئاب وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى جرت الدماء كالسيل وكانت جثث القتلى كالتراب فحرق اليهود الكباش مع جميع آلائها وقتل جمع كثير من الفريقين فنظر الرومان في ذلك الوقت من اليهود ما هالهم وولوا مدبرين فردّهم تيطس وشجعهم وقال لهم إلى أين أنتم منهزمون

أين شجاعتكم إلا تنجلون من الهزائم بعد هدمكم سورين من أسوار المدينة ولم يبق إلا سور واحد وقد هلك أكثر أهل المدينة من السيف والجوع وليس لهم معين من جهة ونحن عساكرنا متواثرة ولنا أمم كثيرة تعيننا ومتى انتصرنا عليهم نحصل بذلك على الفخر العظيم ولكننا أن هزمنا من أمامهم فيلحق بنا عار لا يمحي مدى الأدهار ثم أتفق رأى تيطس وقواده على ترك المحاربة وأن يحاصروهم ويضيقوا عليهم إلى أن يقهرهم الجوع فيخرجوا إليه ففعلوا ذلك وحفظوا جميع طرق المدينة فضاقت الأمور على اليهود واشتد الجوع وكان ذلك سبب فتح المدينة .

وسعى قوم من الأشرار بامتأى الكاهن إلى شمعون الخارجي وذكروا عنه أنه يريد أن يستأمن للرومان فأمر شمعون بالقبض عليه وعلى بنيه وكانوا ثلاثة فقبضوا عليهم وأتوا بهم إلى شمعون فأمر بقتلهم فطلب امتأى أن يقتله قبل أولاده فلم يفعل ثم تضرع إليه أن يمكنه من ضمهم إليه وتقيلهم قبل موته فلم يقبل بذلك حينئذ خاطب امتأى شمعون خطاباً أظهر به قساوته وإنكاره الجميل وقال فيه أن التسليم للرومان أخير من البقاء في اورشليم وفضل الموت على مشاهدة خراب الهيكل وكان خطاباً طويلاً فلما فرغ من كلامه أمر بقتل أولاده ثم بقتله وطرحهم إلى خارج الحسنة . ثم أمر بقتل حينئذ وهو من أجلاء الكهنة وأمر بطرح جثته على جثة امتأى وقتل أرسطو الكاتب وخمسة عشر من كبراء الأئمة وصلحائهم وقتل أحد عشر رجلاً من أعيان المدينة لأنه بلغه أنهم أنكروا قتل امتأى وقتل يهوذا رئيس الآلف وجماعة معه لأنهم أرادوا أن يستأمنوا للرومان لما رأوا من فعله مع امتأى وغيره ولما رأى

العازر فعلٌ شمعون أيقن بخراب المدينة فخرج منها وأقام في بعض المواضع إلى أن أنصرف تيطس . ولما طال الحصار على المدينة فنى كل شيء كان فيها من القوت فأكلت الناس الجيف ودبيب الأرض وكان من يملك على قليل من الحنطة يخاف أن يطحنه أو يخبزه لئلا يعلم به غيره فيأخذ منه فكانوا يأكلون الحنطة حباً ويسفون الطحين ويتخاطفون اليسير إذا وجدوه فلا يأمن الأب ابنه ولا البنت أمها فعظم الجوع والقحط واشتد الأمر فمات كثيرون واشتغل الأحياء بأنفسهم فلم يدفنوا موتاهم وكان بعضهم يرمى موتاه في الآبار وبعضهم يحفر قبراً لنفسه وينام فيه إلى أن يموت وبطل البكاء وانقطعت الأصواب وزال الحنو وعدم الرثاء وأمتلأت المنازل والشوارع والأزقة من الجثث وكان الخوارج يرمون الموتى من السور إلى الوادى حتى اجتمعت منهم تلالاً فمر تيطس ورأى ذلك فاستعظم الأمر ورفع يديه نحو السماء وقال اللهم لا تقم على خطية لأن هذا الفناء قد جلبه رؤساء اليهود وقد استدعيتهم إلى الصلح مراراً وبذلت جهدى لذلك ولم يقبلوا . ولما طال الحصار جاع الخوارج وأصحابهم وأذاقهم الله ما أذاقوه للناس فأكلوا الحب الذى يوجد في زبل الحيوان وجلود البهائم المائتة ثم أكلوا ما يوجد من الجلد على سروجهم على سيوفهم وكانوا يطلبوا شيئاً من النبات فلم يجدوا لأن الرومان قطعوا كل الأشجار التى كانت حول أورشليم وكان حولها بساتين كثيرة من كل جهاتها مسافة أميال فكان متى أقبل إليها الإنسان يرى أحسن منظر وكان كل من يعرف ما كانت عليه وما هى فيه يبكى ويتحسر .

وفي ذلك الوقت كانت امرأة تدعى مريم ولها ولد وحيد فلما أشد
عليهما الجوع قبضت باليسرى على ناصيته وباليمنى على السكين وذبحته بعد
أن قالت له أيها الولد المنكود الحظ لماذا أبقيك هل لتموت جوعاً أو لتموت
فريسة الرومان ثم شوت منه جزءاً وأكلت فلما أشتم الخوارج رائحة اللحم
بادروا مسرعين إلى المرأة فلما وقفوا على حقيقة الأمر أستعظموا ذلك فقالت
لهم :خذوا وكلوا لستم أحسن من أمه التي ذبحته بيدها . وهذا كاف لتبيين
الشدة والضيق اللذين نرعا من الوالدين حاسيات الحنو والشفقة، ولما شاع
هذا الخبر في المدينة أيقن الأهالي بصحة النبوات عن خراب المدينة فخرج في
ذلك الوقت إلى الرومان جمع كثير فأمر تيطس أصحابه بالإحسان إليهم وكانوا
كثيرين رجالاً ونساءً وأولاداً ففعل أصحاب تيطس كما أمرهم وكان كثيرون
منهم لا يقدرون أن يفتحوا أفواههم وكثيرون لما أكلوا الطعام ماتوا وكان
الأولاد يخطفون الطعام وينهشونه ثم يموتون للحال فلما بلغ تيطس ذلك دعا
إليه يوسيفوس وأمره أن يعولهم فسقاهم اللبن وأعتنى بهم فعاش كثيرون منهم
وكان بعض من خرج إلى عسكر الرومان من اليهود قد ابتلع ذهباً لتخلصه
لنفسه وإذا كان أحدهم يفتش ما برز منه ويأخذ ما كان بلعه رأه بعض
السريان فأخبر رفيقه فقتلا اليهودي وأخذوا ما كان معه وفشا ذلك بين
السوريين والعرب فكانوا يقتلون كثيرين لأجل ربح المال فلما بلغ تيطس ذلك
أمر بنفى العرب والسريان من معسكره . ولما علم الرومان بسوء حال اليهود
وفناء أكثرهم تقدموا إلى السور الثالث ونصبوا عليه الكباش ليهدموه فلم
يكن للخوارج قوة على حرقها كما فعلوا فيما تقدم إلا أنه مع ما هم عليه من
الضعف واليأس قاتلوا قتالاً شديداً وقتلوا جماعة كثيرة فعند المساء عاد

يوحانسان وأصحابه إلى المدينة لضعفهم فدفع الرومان الكباش على السور في الليل فهدموه وصرخوا عند ذلك صراخاً عظيماً وأقاموا مكانهم إلى الغد فلما أصبحوا نظروا وغذا قبالة ذلك الموضع الذي أنهدم من السور سور جديد بناءً اليهود تلك الليلة وذلك لما رأوا أنهم لا يقدرّون على حرق الكباش عزموا على بناء سور آخر داخل الأول فلما رأى الرومان ذلك استعظموا فعل اليهود وأيسوا من فتح المدينة فجعل تيطس يشجعهم ويحثهم على الثبات ويبشّرهم بعدم متانة السور الجديد وبعد ذلك هجم الحيشان بعضهم على البعض الآخر واشتد القتال فتغلب اليهود عليهم وهزموهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً فكلت الرومان من محاربة اليهود وأرادوا الأنصراف فلما علم تيطس بذلك جمع أصحابه وجعل يشجعهم وقال قد قرب الفرج فلا تضعف قواكم عند بلوغ الأمل ولا تضيعوا ما تكبدتموه من الأتعاب باطلاً . وأنتم قد أتيتم إلى هذه الأمة لتعيدوها إلى الخضوع كما كانت وقد صبرتم على محاربتها طول هذه المدة حتى هلك رؤسائها وشجعائها وخربتم حصونها وافنيتم عساكرها بالجوع والسيف ولم يبقَ منها غير شرذمة تسير كالموتى فإن رجعتم عنهم تكنون قد أضعتم أتعابكم باطلاً وأى ذكر جميل يخلد لكم في بطون التواريخ بعد أن هزأكم وكنتم قد عزمتم على تملك المدينة في أيام نيرون قيصر وعزمتم على تملك المدينة في أيام نيرون قيصر وعزمتم على أنكم لا ترجعون إليه إلا منصورين مكللين بالغلبة وأعلام النصر ترفل فوق رؤوسكم فلما ملك وسبسيانوس الذي هو أشجع من نيرون وأعظم بأساً منه علمتم على الرجوع فأى عذر يكون لكم عند الوصول إليه وأية حجة تحتجون بها أمامه .

فلما سمع القوم كلام تيطس تشجعوا ولما كان في مساء اليوم الثاني
اجتمع نحو عشرين رجلاً من شجعانهم وعملوا على الدخول إلى المدينة بجماعة
من العساكر فصعدوا إلى ثغرة السور ودخلوا المدينة لأن اليهود كانوا نيماً
لشدة تعبهم وجوعهم ولما دخلوا صرخوا فأستيقظ اليهود ولبثوا في مواضعهم
وسمع تيطس صوت أصحابه فعلم أنهم ملكوا بعض المدينة فمضوا مع جماعة من
رجالهم ووقف عند السور إلى الغد وحينئذ التقى اليهود مع الرومان وجرى
قتال أحمز فيهم اليهود إلى القدس وتبعهم الرومان فأقتلوا في صحن القدس
الخارجي بالسيوف قتلاً عظيماً لم يسبق له نظير لأن الجميع يثسوا من الحياة
وأرادوا الموت وأمتلأ صحن القدس من الدم واستظهر اليهود على الرومان
فهزمهم وأخرجوهم من القدس وحينئذ أمر تيطس بهدم بناء كان متصلاً
بالقدس ليتسع مرسح القتال على جنوده .

وإذ كان قد آن عيد اليهود اجتمعوا إلى القدس حسب عاداتهم فتقدم
تيطس إلى القدس ومعه يوسيفوس فأستدعى يوحانان ورؤساء الخوارج
وخطبهم بصوت عالٍ قائلاً أخبروني يا معشر اليهود أخبروني ما الذي الجاكم
إلى خراب هذه المدينة وهذا الهيكل المقدس فأشفقوا عليه فقد علمتم أنني لا
أريد خرابه وإذا كنتم تريدون الحرب فأخرجوا إلى الصحراء لنحاربكم
وأظهروا هناك شدة بأسكم ووفور شجاعتكم ونزهوا هيكل الله عن الحرب
ووقروه ولا تنجسوه بسفك الدم ولا تعطلوا منه القرايين والعبادة فأنا لا نريد
ذلك ولا نقصد محاربتكم من أجله فقال يوحانان إيها الملك لا شئ أجل من
لحومنا ودمائنا لنقربه قرايين في هذا الهيكل فقال تيطس كيف تطمعون أنفسكم

أنكم تكونون عند الله كقرايين مع أنكم عصيتم أوامره وخربتم قدسه .
وخاطبهم تيطس بمثل هذا الكلام كثيراً وكان يوسيفوس يترجم قوله ويبكى
بكاءً شديداً وينتحب متحرقاً ثم قال لهم أنى لست أعجب من خراب هذا
البيت وهذه المدينة لعلمى أن مدتها قد أنتهت لكنى أعجب منكم وأنتم
تقرأون كتاب دانيال النبي وتعلمون ما ذكره من ابطال الذبيحة وزوال
التقدمة وترون ذلك قد صح وثبت . فلم يسمع الخوارج كلام تيطس ولا
كلام يوسيفوس ولكن كثيرين من كبراء اليهود خرجوا إلى تيطس فأمنهم فلما
علم الخوارج بخروجهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم . ولما علم
تيطس أن الخوارج يمنعون القوم عن الخروج إليه تقدم ومعه يوسيفوس
ليخاطب اليهود ويستعطفهم فلما رى اليهود يوسيفوس بكوا وأستعدروا لعدم
تسليمهم للرومان وشكو من ظلم الخوارج الذين لم يسمحوا لهم بالخروج وإذا
سمع الخوارج ذلك تبادروا إلى اليهود ليقتلوهم فهجم الرومان لخلصهم
وهجموا على اليهود فى القدس فقاتلوهم قتالاً شديداً فأهزم الرومان وهربوا
إلى قدس الأقداس فتبعهم اليهود إليه وقتلوهم وإذا بلغ تيطس ذلك صاح
بيوحانان وكان داخل قدس الأقداس وقال له يا يوحانان ألم يكتب فى التوراة
أن الغريب الذى يدخل إلى هذا الموضع الأقدس يقتل ولم يؤذن بالدخول إليه
إلا للكهنة الأكبر وذلك مرة واحدة فى السنة وأما أنت أيها المتعدى شرايع
الهك فلم يكفك إنك دخلت فقط ولكنك سفكت فيه دماء الغلف ودماء
اليهود أخوتك وقد علم الله أننى لا أريد خراب هذا البيت ولكن أعمالكم هى
التي تخربه ولما رأى تيطس أن القوم لا يسمعون لكلامه استدعى ثلاثين ألف
رجل أشداء وأمرهم أن يدخلوا صحن القدس ويحاربوا اليهود وأراد أن يدخل

هو أيضاً فممنعه قواده لئلا يقع في المهالك وطلبوا إليه أن يقف في مكان مرتفع ليراه جيشه وتشتد قلوبهم به وأتفق رأيهم أن يكبسوا اليهود في الليل فلما علم اليهود عزمهم لم يناموا تلك الليلة فلم يتم للرومان ما أرادوا وفي الغد تفرق اليهود ووقفوا على طرق القدس فضبطوها وحاربوا الأعداء حرباً قوياً وأشتد القتال وأستظهرت اليهود على الرومان فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأبعدوهم عن القدس وحينئذ أمر تيطس أن يكفوا عن محاربتهم لعلمه أنهم لا يجدون ما يأكلون وإن الجوع يغنيهم وفي ذلك الوقت لم يجر بينهما قتال وكان اليهود لشدة الجوع يخرجون إلى معسكر الرومان ويسرقون ما يجدون من الدواب ليأكلوا وإذا بلغ تيطس ذلك أمر بحرس معسكره وكان حينئذ قد انتقل من جبل الزيتون لقرب المدينة وكان قد تبقى لهم مواش ودواب كثيرة هناك مع بعض الحراس وكان تيطس قد بنى في وجه القدس حائطاً خوفاً من مهاجمة اليهود معسكره إذ كانوا قد خرجوا مرات كثيرة فمشى قوم من أصحاب الخوارج وهدموا الحائط وخرجوا منه إلى جبل الزيتون وقتلوا بعض الحراس وأخذوا المواشى والحيوانات وكان الرومان يقاتلون أولئك وقد أسروا واحداً منهم . وكان رجلٌ مع اليهود اسمه يوناثان فلما رأى صحابة أسيراً غضب واخذته الحمية وذهب على معسكر الرومان ونادى بأعلى صوته من كان منكم جباراً فيبرز إلى لأريه شجاعته ولو لم تساعدكم نحن على قتل رجالنا لما قدرتم على غلبتنا فبرو إليه أحد شجعان الرومان فقتله يوناثان فأغتم الرومان لقتله . وتشامخ يوناثان وأعتز طرباً وجعل يطلب من يأتيه ليقاتله فرماه رومانيٌّ بسهم فقتله به . ولما رأى اليهود أنه قد أهدم سور المدينة وسور القدس وتملكه الرومان دبروا على إهلاك جماعة منهم وكان قصر بقرب

القدس بسناه سليمان الحكيم بن داود فطلوا هذا القصر بالنفط والكبريت والقار وأخفوا فيه رجلاً ثم خرج اليهود في الليل إلى القدس وحاربوا الرومان الذين فيه فأجتمع عليهم كثيرون غيرهم فأهزم اليهود ودخل الرومان القصر وكانوا ينظرون إلى حسن صناعته فأشعل ذلك اليهودى القصر وفر فأشتعلت النار في جوانبه وقويت فكان من أنحدر منه يقتلونهُ بالسيف ومن بقى فيه تأكلهُ النار وبلغ ذلك تيطس فجاء بعسكره ولم يمكنهُ إطفاء النار وتخليص أحد . فخاف الرومان من اليهود وحيلهم وخرجوا من القدس على خيامهم .

وبعد ذلك أمر تيطس جميع جيشه أن يحاصروا المدينة ويحيطوا بها ويضيقوا عليها من غير أن يتعرضوا لمحاربتهم فلما طال الحصار مات أكثر من بقى منهم وخرج أصحاب الخوارج إلى تيطس فقبلهم . ثم دخل الرومان إلى المدينة والهيكل فلم يكن من يمنعهم وكان تيطس قد أوصى قومه بأن لا يحرقوا القدس وكان بابه مصفحاً بالفضة فجاء الرومان واحرقوه ليأخذوا الفضة التى عليه فلما فتح دخلوا إلى القدس ونصبوا خيامهم فيه وقربوا ذبائحهم إلى تيطس ملكهم وكانوا يفترون على الهيكل ويتكلمون بالفظائع فلما علم من بقى من اليهود ذلك هجموا في الليل على الذين فى القدس وقتلوهم ولما بلغ تيطس ذلك جاء بعسكره وقتل أولئك . وفى الغد أجمع الرومان وحرقوا باب قدس الأقداس وكان كله مغشى بصفائح الذهب ولما سقطت الأبواب صرخوا صراخاً عظيماً فأسرع تيطس ليمنعهم عن إحراقه فلم يتم له ذلك لأن الأقدام كانت مزدحمة والضجيج كثيراً فلم يكن من يسمع وقتل فى ذلك اليوم من عسكره جماعة وذلك لأنهم دخلوا قدس الأقداس بحدة وحنق عظيمين بعد

أن كان قد أصدر أمراً بمنعهم عن الدخول ولم يمتنعوا . ولما دخل تيطس الهيكل ورأى قدس الأقداس وبهاء أخذه العجب والدهشة وقال حقاً أن هذا البيت الجليل ينبغي أن يكون بيتاً لله ولقد أحسنت الأمم في تعظيمها وتكريمها له وحملها الهدايا إليه ثم اشتعلت النار في القدس وقويت على جميعه . ولما علم الكهنة بدخول الرومان إلى قدس الأقداس ليحرقوه جاءوا مستقتلين فحاربوا الرومان إلى أن لم يبق لهم حيلة فزجوا أنفسهم في النار وقالوا لا عيش لنا بعد حرقه .

ولما علم اليهود الذين تبقوا في المدينة أن قدس الأقداس قد احترق مضوا وحرقوا كل ما كان في المدينة من القصور الجميلة مع ما فيها من الذخائر والأموال . وفي ذلك الوقت ظهر رجل يدعى النبوة وقال : أن هذا البيت يبني كما كان بدون شغل إنسان بل بقدرة الله فأستمروا على ما أنتم عليه وإذ سمع اليهود ذلك اجتمعوا وقتلوا الرومان فظفروا الرومان بهم وقتلوهم بأسرهم وقتلوا كثيراً من اليهود الذين كانوا قد آمنوهم فتم خراب هذه المدينة في اليوم العاشر من شهر آب سنة ٦٧ بعد الميلاد وهدمت الأسوار والحصون إلى الأرض وأبقى ثلاثة من حصونها المنيعة لترى الصعوبات التي صادفها الرومانيون حتى تغلبوا عليها . وقال تيطس عندما نظرها ما من شيء سوى القدرة الإلهية جعلتنا أكفاء لأخذ هذه المدينة . ثم أمر بأن تجر سكة الفلاحة فيها إشارة على تدمير خرابها وتم بذلك قول النبي ميخا ص ٣ .

١٢٤ أن صهيون ستفلىح كالحقل .

أما عدد اليهود الذين هلكوا في هذا الحصار فهو إحدى عشرة كرة
وعدد الأسرى سبعة وتسعون ألفاً وحسب عدد المقتولين في كل هذه الحرب
فبلغ أربع عشر كرة وأثنيتين وستين ألف نفس أى مليون و ٦٢ ٤ ألف نفس.
وهكذا كانت نهاية حروب اليهود حينئذٍ مع الرومان . ثم طلب شمعون
ويوحانان الخارجيان من تيطس الآمان فأجابهما قائلاً أننى راسلتكما بذلك
مراراً وخاطبتكما شفاهاً إشفاقاً على شعبكما ومدينتكما وتمنعتما عن القبول
والآن بعد أن خربت المدينة وهلك أكثر أهلها تطلبان الآمان . وبعد ذلك
اختبأ الخوارج في المدينة ولما رأى أتباعهم ذلك ذهبوا إلى تيطس فأمنهم
وحينئذٍ أستولى على كل المدينة وهدم سور صهيون ولما طال على يوحانان
الاستتار واشتد الجوع والعطش لبس لباس الملك وذهب إلى معسكر الرومان
فاستهابوه وطلب الذهاب إلى تيطس ولما حضر أمامه أغلظ بالكلام عليه وأمر
بأن يقيّد ويوضع في المعسكر . وخرج هوشع الكاهن بمئرتين ومائدتين وأوان
كثيرة ذهبية وأخذها إلى تيطس . وفي ذلك الوقت قبض على فنحاس صاحب
الخزائن وطالبه بما تحت يده فسلمه كل شيء ثم رحل تيطس بالأموال والغنائم
من أورشليم متوجهاً إلى رومية . أما العازر أحد الخوارج فلما بلغه ارتحال
تيطس من أورشليم عمر قرية ماصيو وحصنها بالأسوار وأقام فيها فبلغ ذلك
قوماً فساروا إليه فأتصل خبرهم بتيطس وكان وقتئذٍ في انطاكية فخاف أن
يقوى أمرهم فوجه قائداً من قوادهمى سلوانس فجاء القائد إلى ذلك الحصن
في عسكر كبير وحاصره إلى أن فتح وخرج العازر وأصحابه إليه واقاموا حرباً
عظيمة دامت على أن خيم الظلام ولم يدع العازر وأصحابه الرومان يدخلون
الحصن وفي تلك الليلة جمع العازر رجاله وقال لهم اسمعوا يا ذرية إبراهيم أنكم

طالما قهرتم الأمم وغلبتم الممالك وظفرتم بالأعداء وأما الآن فقد انعكست
أحوالكم ومالك إلا بمخالفتنا ناموس هنا والآن قد غلبتنا الأعداء ولا حيلة لنا
بالغلبة بعد أن خربت حصوننا وقتلت رجالنا والآن عليكم أن تختاروا أحد
أمرين فأما أن تسلموا إلى أعدائكم وترتضوا بالذل والهوان وأما أن تزهّدوا في
الدنيا وتتشجعوا في الموت فتكونوا بذلك قد أكملتكم الشجاعة وعزة النفس
وخلصتم من إذلال الأعداء وأعلموا أن الموت في العز خير من الحياة في الذل
وبعد أن تلا عليهم خطاباً طويلاً بهذا الشأن عزم الجميع على قتل أولادهم
ونسائهم في الصباح وطرحهم في الآبار وبين الردم وإن يقاتل الرجال حتى
الفنا فكان كذلك إذ قتلوا أولادهم ونسائهم وتقدموا لمحاربة الرومان فقتلوا
منهم جمعاً غفيراً ولم يكفوا القتال إلى أن لم يبق منهم أحد وهكذا تم خرابها
ورجع من بقى من الرومان إلى بلادهم.



الفصل الخامس عشر

حالة أورشليم

بعد أن خربها تيطس إلى تولى الإمبراطور أدرينانوس

وخرابه إياها تماماً

وبعد خراب أورشليم هذا انكسرت شوكة اليهود وضعفت قوتهم فرجع النصارى من عبر الأردن وبنوا كنيسة وسكنوا في القدس وكانت تبني رويداً رويداً إلى أن أعاد بناءها ادرينانوس الإمبراطور الرومانى بعد أن كانت قد هدمت في حصار تيطس ووضع فوق أحد أبوابها حجراً منقوشاً فيه أوامره ومنع اليهود عن السكنى في أورشليم وسمى المدينة ايليا ووضع على إحدى أبراجها صورة خنزير لكى ينجسها في أعينهم وبقي هذا المنع مدة إلى أن رفع ببذل المال . فرجع إليها حينئذ كثيرون من اليهود وحسنوها وشيدوها وكان قد بلغ الإمبراطور ادرينانوس أن اليهود يشيدون أورشليم ويحصنوها ليخرجوا عن طاعته فأرسل عساكره وقتل أكثرهم وخرب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحاً إشارة إلى إبادة فصار قاعاً صفصفاً وفي هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت دولة اليهود وتشتت شملهم وانتشروا

فى كل الأقطار ولم يقم لهم بعد ذلك قائم وكانت هذه الحرب سنة
١٣٢ ق . م .

فتمت نبوة السيد المسيح إذ قال لتلاميذه انه لا يُترك حجر على حجر .
وبعد ذلك رغب الرومان فى السكنى فى بيت المقدس وكذلك اليهود فكان
النصارى يترددون إلى موضع القبر والصليب يصلون فيه وكان اليهود
يطرحون عليه الوبل ثم أخذهُ الرومان ونظفوه وبنوا عليه هيكلًا على أسم
الزهرة . وكان الرومان يولون على أورشليم قضاةً وبقي ذلك إلى أيام
الإمبراطور قسطنطين كما سيأتى .



الفصل السادس عشر

حالة أورشليم فى مدة تولى الإمبراطور قسطنطين وإيتان أمه
إليها وبنائها كنيسة القيامة وتسلم الإمبراطور يوليان وجستيان
وتولى العجم والعرب على المدينة واسترجاع هرقل إياها

وسنة ٣٢٦ بعد المسيح أتت الملكة هيلانة^(١) لإقامة كنائس فى تلك المدينة
وعند وصولها إلى القدس هدمت معبد الزهرة الذى بناه الوثنيون على جبل
الجلجلة واعتنت بكشف قبر السيد المسيح وقد قال بعض المؤرخين أنها
جاءت إلى مكان الصليب وسالت عن الخشبة التى صلب عليها فأخبرت أن
اليهود كانوا قد دفنوها فى الأرض وجعلوا فوقها الأقدار فاستخرجتها للحال

(١) والدة الإمبراطور قسطنطين الرومانى الذى بنى القسطنطينية وسماها بذلك نسبةً إليه بعد
أن كانت مدينة صغيرة تحت أسم بيوانتيا وكانت هذه الملكة قد اعتنقت الديانة المسيحية
بعد تملك ابنها باثنتين وثلاثين سنة فانت مصحوبةً بمالٍ جسيم خصصه ابنها لبناء كنائس
فى الشرق وهو أول من تنصر وثبت من ملوك الرومان .

وعينت مع الأساقفة الذين كانوا معها ذلك اليوم عيداً لوجود الصليب^(١) وبنيت على الموضع كنيسة القيامة وكان ذلك سنة ٣٢٨ للمسيح .

وفي مدة تملك ابنها الملك قسطنطين الزم اليهود في القدس أن يتنصروا فتظاهر كثيرون بالنصرانية ولكنهم لم يأكلوا لحم الخنزير وأمتنع بعضهم عن التنصر فقتل كثيرين منهم .

وسنة ٣٦١ ميلادية آتى الإمبراطور يوليان لمخاربة الشرق وبعد أن صرف فصل الشتاء في إنطاكية توجه نحو القدس وأخذ في جمع اليهود إلى أورشليم وابتداء بعمار هيكلمهم ليبين بذلك فساد النبوات التى تشير إلى أنه لا يبنى فيما كان ويكذب نبوة المسيح بهذا الشأن لأنه كان قد تنصر أولاً ثم رجع إلى الديانة الوثنية .

وقد قال اميانوس أحد مؤرخى الأمم الذى عاش فى تلك الأيام أنهم إذ كانوا يحفرون الأساس خرجت نارٌ من الأرض وحرقت الفعلة وسمعوا رعوداً قوية وكانت شرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل .

وسنة ٥٢٩ ميلادية بنى الملك جوستنيان الأول كنيسة عظيمة على أسم العذراء وهى التى عُرفت فى الأعصر الحديثة بالجامع الأقصى وقال بعض المؤرخين أن الملك جوستنيان بنى مستشفى وإن الكنيسة المذكورة شرع فى بنائها البطريك إلياس وتممها جوستنيان .

(١) وقد زينت المدينة يوم وجوده بإشغال مصابيح ونار كثيرة ولم يزل ذلك جارياً إلى الآن إذ يشعلون ليراناً كثيرة فى يوم تذكار وجود الصليب .

وبعد ذلك بمدة وجيزة أخذ العجم والعرب يفتحون حصون الرومان
ورغبوا في الإستيلاء على بلادهم وأول من حاربهم كسرى الثانى والمنذر ملك
العرب الذى كان خاضعاً له وقد استولى كسرى على عدة بلدان من بلدان
الرومان منها اورشليم .

ونحو سنة ٥٩١ ميلادية أرسل برويز بن كسرى خسرويه مرزبانه إلى
القدس وأمره بقتل اليهود وخراب المدينة كما أنه أرسل فى ذلك الوقت قوماً
لخرب أماكن أخرى وذلك ليأخذ بشار صهره موريكش الذى قتله بعض
مماليكه وأما خسرويه فبعد أن خرب الشام والخليل والناصره وصور والقدس
وقتل كثيرين من النصارى وخرب كنائس كثيرة ونهب أموالاً وافرة مع قطعة
من عود الصليب أتى إلى كسرى بالسبى والغنائم . ولما رأى اليهود أن الشام
وما يليها قد خلت من الرومان ورأوا أن الفرس يحاصرون القسطنطينية
اجتمعوا من القدس وطبرية وقبرص ودمشق فكانوا نحو ٢٠ ألفاً وأتوا إلى
صور ليملكوها وكان بها من اليهود نحو ٤ آلاف ولم يزالوا يحاصرونها إلى أن
رجع كسرى من القسطنطينية فهزمهم .

وسنة ٦٢٨ ميلادية حاصر هركليوس (المعروف بهرقل) القدس
وأسترجعها للرومان ودخل بجيوشه اورشليم .



الفصل السابع عشر

إرسال أبو عبيدة سبعة أمراء لفتح أورشليم وتسليمها

لعمر بن الخطّاب وبناء الحرم الشريف وإستيلاء

الدولة الأموية ودول عباسيين والطولونيين والفاطمين

والسلجوقيين عليها إلى دخول الصليبيين



وسنة ٦٣٤ ميلادية إذ كان أبو عبيدة قائد جيوش المسلمين في دمشق جمع أمراءهم وقال لهم : أشيروا عليّ بما أصنع وإلى أين أتوجه فقالوا: أما إلى بيت المقدس ، أما إلى قيصرية فأشار عليه معاذ بن جبل أن يستشير أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب بذلك فكتب إليه إلى المدينة وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي يستشيره بذلك فورد إليه الجواب بأن يسير إلى بيت المقدس وبشره بفتحه فقرأ الكتاب على المسلمين ففرحوا بمسيرهم إلى القدس الشريف وعند ذلك دعا أبو عبيدة خالد بن الوليد وعقد له راية وضم إليه خمسة آلاف فارس وسرحه إلى بيت المقدس وفي اليوم الثاني دعا يزيد بن أبي سفيان وعقد له راية وأمره أن يلحق بخالد وفي اليوم الثالث دعا شرحبيل بن حسنة وعقد له راية بخمسة آلاف فارس من أهل اليمن وقال له : سر

بعساكر إلى بيت المقدس ولا تختلط بمن تقدم قبلك . وفي اليوم الرابع دعا المرقال بن هاشم وضم إليه خمسة آلاف فارس من جميع المسلمين وسرحه على أثر شرحبيل وقال له : أنزل على حصن بيت المقدس ولا تختلط بمن تقدم وفي اليوم الخامس دعا مسيب بن نجبة الفزارى وعقد له رؤية بخمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم من القبائل وأمره بالمسير في أثر أصحابه . وعقد رؤية سادسة بخمسة آلاف فارس وسلمها إلى قيس بن المرادي وسيره وراءهم . وعقد رؤية سابعة وسلمها إلى عروة بن مهلهل بن زيد الخيل مؤلفه من خمسة آلاف فارس وسيرها وراءهم فكان جملة من سرحه أبو عبيدة من الشام إلى بيت المقدس سبع فرق بخمسة وثلاثين ألفاً مع سبعة من أمراء المسلمين فكانوا يصلون إلى بيت المقدس الواحد بعد الآخر على سبعة أيام . فأول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد ولما شاهد المدينة كبر ثم كبر أصحابه فلما سمع أهل المدينة خافوا وصعدوا إلى الأماكن المرتفعة فلما رأوا قلة جيوش المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع الجيوش المهاجمة . فحل خالد ومن معه قرب الباب الذي يؤدي إلى أريحا وفي اليوم الثاني أقبل يزيد بن أبي سفيان بجيوشه وفي اليوم الثالث شرحبيل وهكذا إلى أن وصلت جميع الجيوش وحلت في ظاهر القدس الشريف وبقيت جيوش المسلمين حالة أربعة أيام بدون أن يتكلموا كلمة مع أهل المدينة الذين لم يخرج منها إليهم أحد وفي اليوم الخامس ركب يزيد بن أبي سفيان وأشهر سلاحه وتقدم إلى جهة السور ومعه ترجمان فوقف بإزاء السور وأمر ترجمانه أن يقول لهم : أن أمير العرب يطلب منكم واحدة من ثلاث أما الدخول في الإسلام وإما أداء الجزية وأما القتال وكان المخاطب قساً فبلغ القس لمن وراءه ما قال الترجمان فعظم الأمر عليهم عندما

سمعوا ذلك وقالوا : الموت أسهل علينا من ذلك ، فبلغ الترجمان يزيد ذلك فلما سمع جوابهم رجع وأخبر بما أُجيب وقال لقومه : ما اضطبارنا عن القتال فقالوا : أن الأمير أبا عبيدة ما أمرنا بقتال القوم بل بالتزول عليهم حينئذ كتبوا إليه يعرفونه بذلك فأجابهم أبو عبيدة يأمرهم بالهجوم على المدينة وأنه قادم في أثر الكتاب ففرحت الجيوش بهذا الخبر واستعدوا إلى التزال وفي اليوم الثاني نهضوا للحرب فأول من برز للقتال بنو حمير ورجال اليمن فنظر إليهم أهل بيت المقدس وتلقوهم بالنبال وكان المسلمون يتلقونها بدرقهم واشتدَّت الحرب من الصباح إلى المساء فلما أظلم الظلام رجع كل فريق إلى مركزه .

وفي صباح اليوم الثاني تقدم المسلمون للحرب وانتشب القتال وكانت حرب عظيمة دامت إلى اليوم العاشر وفي اليوم الحادى عشر أشرفت راية أبى عبيدة يحملها غلامه سالم فلما وصل إلى المعسكر ضجَّت الجيوش ضجيج الفرح والسرور بقدم قائد جيوشهم فوق الرعب في قلوب أهل بيت المقدس وذهبوا إلى كنيسة القيامة وأخبروا البطريك بذلك فتقدم البطريك والقسوس وكانوا يشجعون قومهم وكان الحرب في الشتاء فدام أربعة أشهر كاملة وأبو عبيدة بجيوشه يحاصر المدينة وما من يوم إلا ويقا تل قتالاً شديداً فلما طال الحصار على المدينة ضجر الرومان من الحرب وتقدموا إلى القائد الذى كان يدير الجيوش وقالوا له : لقد طال الأمر علينا ولم يأتنا إسعاف من مكان وربما اشتغل الملك هرقل عنا بالدفاع عن نفسه فالأولى محاسنة العرب فإن كان ما يطلبونه منا سهلاً وافقناهم عليه ونجونا من الهلاك وإن كان صعباً فتحنا أبواب المدينة وخرجنا إليهم فأما أن نُقتل عن آخرنا وأما نهزمهم عنا فأجابهم القائد إلى

ذلك وصعد معهم على السور وحمل الصليب وبين يديه القسوس والرهبان وبأيديهم الأناجيل مفتحة والمباخر متقدة فلما دنوا من المكان الذي كان فيه أبو عبيدة صرخ روماني بالعربية قائلاً قد جاء عمدة النصرانية. ثم قام أبو عبيدة ومن معه من الأمراء وأخذوا في الكلام مع القائد وبعد حديث طويل جرى بينهم رفض التسليم إلا عن يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب أبو عبيدة إليه إلى المدينة يعرفه بذلك ويستعطفه بالحضور لأنهاء الحرب وحجب دماء العباد فقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرسالة على المسلمين وقال ما ترون فيما كتب أبو عبيدة رحمكم الله فأجاب عثمان بن عفان رضي الله عنه قائلاً يا أمير المؤمنين أن الله قد أذل الرومان وأخرجهم من الشام ونصرنا عليهم وقد انكسرت شوكتهم ولايزدادون إلا ذلاً وضعفاً فإن لم تسر إليهم رأوا إنك مستخف بأمرهم فلا يلبثون قليلاً حتى يعطوا الجزية. فلما أتم عثمان حديثه قال عمر : هل عند أحدكم رأى غير هذا فأجاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه نعم عندي غير هذا الرأي وهو بما أن القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين الذين أصابهم جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام فإذا سرت إليهم فتح الله المدينة على يدك وكان في مسيرك الأجر العظيم ففرح عمر بهذه المشورة وقال : لقد أحسن عثمان رضي الله عنه النظر في المكيـدة للعدو وأحسن رضي الله عنه على المشورة للمسلمين. ثم أنه أمر الناس بأخذ الأهبة للمسير معه والاستعداد فأسرعوا إلى ذلك وركب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجيوشه بعد أن أستخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولما قرب إلى بيت المقدس أرادت الفرسان ملاقاته فمنعهم أبو عبيدة وسار هو ببعض الفرسان ولما ألتقيا تصافحوا وسلم

بعضهما على البعض وسار إلى أن اجتمعا بقومهم فخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الجيوش خطاباً ختمه يحثهم على الصلاة وبعد ذلك جلس فأخذ أبو عبيدة يقص عليه ما لقي من الرومان وكان عمر باهتاً تارة يبكى وتارة يهدأ وبعد ذلك أمر عمر رضى الله عنه بأن يخبروا الرومان بحضوره ولما بلغ البطريرك ذلك خرج من الكنيسة ومعه القسوس والرهبان والأسقافة ومعهم الصليب وسار معهم فسلموا إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما طلبوا وحينئذ كتب أماتهم ونصه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(من عمر بن الخطاب لأهل إيليا أنهم آمنون على دمائهم وأولادهم ونسائهم وجميع كنائسهم لا تقدم ولا تسكن آه ذكره الإمام ابن خلدون) .

ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وذلك سنة ٦٣٤م ودخل كنيسة القيامة فجلس في صحنها وحن وقت الصلاة فقال للبطريرك: أريد الصلاة فقال: صلّ موضعك فأمتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً فلما قضى صلاته قال: للبطريرك لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون بعسدى وقالوا: هنا صلى عمر رضى الله عنه. ثم قال للبطريرك: أرني موضعاً أبني فيه مسجداً فقال: على الصخرة وهى موضع هيكل سليمان الحكيم وكانت مغطاة بالأقذار فجعل ينظفها بيده فأقتدى به المسلمون فزالت في الحال وأمر ببناء المسجد فبنى ولم يكن ذلك بإتقان عظيم وبقي إلى أن أتمن بناءه عبد الملك بن مروان الخامس من خلفاء بني أمية .

وبعد أن قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بيت المقدس عشرة أيام أعطى القدس مع أرض فلسطين والساحل ليزيد بن أبى سفيان الثانى من بنى أمية تحت ولاية أبى عبيدة ورجع إلى المدينة وهكذا استخلص المسلمون بيت المقدس مع أماكن أخرى من الإمبراطور هرقل الرومانى وصارت تحت تسلطهم .

وإذا كان قد تم فتح القدس للمسلمين خضعت مع غيرها من أرض فلسطين لخلفاء الدولة الأموية التى كان مركزها دمشق الشام .

وسنة ٧٥ ميلادية أنتقلت من الدولة الأموية إلى الخلفاء بنى العباس الذين كانت قاعدة ملكهم بغداد واستمرت فى حكمهم إلى سنة ٨٣٣ ميلادية وفى مدة خلافتهم كانت تأتى سفراء الإمبراطور شارلمان العظيم إلى القدس ويوزعون الإحسان على المحتاجين وعند رجوعهم تذهب معهم رسل الخلفاء أخذه مفاتيح كنيسة القيامة والقبر للإمبراطور المذكور الذى ولد سنة ٧٤٢ ميلادية ومات سنة ٨١٤ ميلادية.

وسنة ٨٣٣ ميلادية دخلت تحت حكم بنى طولون حكام مصر من طرف الدولة العباسية وبقيت تحت حكمهم إلى سنة ٩٠٥ ميلادية.

وسنة ٩٠٥ ميلادية أنقبت الدولة الطولونية عن تحتها وقامت مكانها الدولة الفاطمية فدخلت أورشليم تحت حكمها وبقيت تحت تسلط الدولة

الفاطمية إلى سنة ١٠٧٨ ميلادية وفي مدة حكم هذه الدولة احترقت كنيسة القيامة أكثر من مرة ولم يتم إصلاحها قبل سنة ١٠٤٨ ميلادية.

وسنة ١٠٧٧ ميلادية هب القدس قائد جيش مرسل من شاه العجم إلى الولايات السورية .

وسنة ١٠٧٨ ميلادية جاءت الدولة السلجوقية التركمانية التي كان رئيسها طوغرول بك حفيد سلجوق وتغلبت على البلاد العربية فدخلت أورشليم في حكمها وبقيت إلى سنة ١١٥٤ ميلادية وقد ثبت حكمها في مصر وبعض أماكن أخرى إلى سنة ١١٩٤ ميلادية إذا انقرضت وقتئذٍ. وفي مدة حكم هذه الدولة أتت الجيوش الصليبية وحاصرت أورشليم كما سيأتي بالتفصيل.



الفصل الثامن عشر

حالة أورشليم فى حصار الصليبين واستيلاؤهم

عليها إلى أن طردهم الملك صلاح الدين الإيوبي

وفى اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٠٩٩ ميلادية قدمت إليها
الجيش الصليبية ^(١) التى كانت وقتئذٍ قد ملأت سواحل سورية تحت قيادة

(١) بعد صعود السيد المسيح إلى السماء أخذت النصارى تتوارد إلى زيارة الأرض المقدسة
وعلى الخصوص مدينة القدس الشريف التى صلب بها المسيح .

ومن الذين زاروا القدس فى أواخر الجيل الحادى عشر بطرس الناسك الذى ولد سنة
١٠٥٠ ميلادية من عائلة كريمة فى أميان فى بىكارديا من أعمال فرنسا وكان قد تجدد
وحصل على شهرة عظيمة ببسالته وإقدامه وكان متزوجاً وله أولاد غير أنه ترك
وظيفته العسكرية وامراته وأولاده وذهب متعبداً متنسكاً ومتشحاً بالثوب الرهبانى .
وإذ رأى ذات يوم أناساً متوجهين إلى زيارة أورشليم سار برفقتهم وكان ذلك سنة
١٠٩٣ ميلادية ولما وصل إليها قابل بطيريكها سمعان وبعد مخاطبات جرت بينهما
اتفقا على أن يذهب بطرس إلى أوروبا ويهيج أهلها ليأتوا بعساكر جرارة تحت راية
الصليب وتدعى العساكر الصليبين لاستخلاص الأرض المقدسة من يد المسلمين
فذهب بطرس الناسك إلى البابا أوربانس الثانى وبلغه إرادته وسلمه تحريراً من بطريك
أورشليم ففرح البابا بذلك وأمره أن يجول فى مدن أوروبا منادياً بذلك ومهيجاً الشعب
فكان يجول حافياً من مكان على آخر متمنطقاً بجبل وأخذ فى أن يهيج الشعوب
الأوروبية فجمع جيشاً عظيماً بعد أن كان قد حرك بوعظه أنعقاد مجمع كليرمون
(سنة ١٠٩٥ ميلادية) الذى قرر إشهار الحرب الصليبية الأولى فجمع جيشاً عظيماً =

رؤسائهم الآتى ذكرهم وهم غودافروا كبيرهم (الذى بعد أن استولى على المدينة أراد الصليبيون أن يقيموه ملكاً فرفض ذلك وتمنع عن أن يتزوج إذ قال: أنه لا يلبس التاج ويدعى ملكاً فى مكان كلل فيه السيد المسيح بالشوك) وأخواه اسطاكبوس وبودوين وروبرتس دوق نورمانديا . ودوق فلاندرى وتنكريد . وكونت طولوزا . وريموند دواورانج . وغوليوم دو مونت بيلير وغطاون دوبران . فهؤلاء هم رؤساء الصليبيين الذين حاصروا أورشليم بخمسين ألف مقاتل وكان والى المدينة وقتئذ رجل من قبل المستعلى بالله أحد الخلفاء الفاطميين بمصر فلما علم بقدم هذه الجيوش حصن المدينة بالعدد والجيوش . وأما الجنود الصليبية ففى غد وصولها أخذت فى حصر المدينة وقد حدثت وقائع كثيرة بدون أن ينتصر أحد لأن قوة الفريقين كادت تكون متساوية فلما رأى الصليبيون عدم نجاحهم أصطنعوا آلات كثيرة وأبراجاً خشبية أتوا بأحشائها من نواحي نابلس وجددوا حصار المدينة فكانت جيوش الإسلام تقذف عليهم ناراً بواسطة أخشاب مضطربة مطلية بالزقت والقطران

= وسار به نحو الأرض المقدسة وإذا كانت الذخائر والنقود قليلة معه هلك كثيرون من جنوده فى بلاد المجر وبلاد البلغار وآسيا الصغرى ورجع بعدد قليل إلى القسطنطينية حيث انضمت بقايا جنوده إلى الجنود المنظمة التى وصلت بعد مدة وجيزة وقد خطب خطاباً على الصليبيين المجتمعين على جبل الزيتون وعند رجوعه إلى أوروبا دخل دير نومونيه الذى كان قد أسسه ومات فيه سنة ١١١٥ ميلادية وقد أقامت له مدينة أميان التى ولد فيها مثلاً سنة ١٨٤٥ ميلادية فهذا هو أصل الحروب الصليبية وأما الوقائع والحوادث التى جرت لهم فيها فلا حاجة إلى ذكرها إذ أننا أقتصرنا على ذكر ما جرى منها فى أورشليم وبعض متعلقاتها كما يأتى .

غير أن ذلك لم يثن المحاصرين عن عزمهم فبعد حروبٍ شديدة وصدماتٍ مريعة استولوا على المدينة وجعلوها مقر ملكهم غير أنهم قتلوا كثيرين من أهاليها وأرتكبوا فظائع كثيرة وبعد استيلاء الصليبيين عليها بخمسة عشر يوماً أتى سلطان مصر بعسكر جرار لاسترجاعها فالتقاءً غودافروا بجيوشه عند عسقلان فكسره وشتت شمله .

وبقى غودافروا سلطاناً على فلسطين التي كان كرسىها أورشليم إلى سنة ١١٠٠ ميلادية حيث توفي في ١٨ تموز من السنة المذكورة ودفن في كنيسة القيامة بكل إكرام وقد حزن عليه الجميع لما كان عليه من حسن الصفات . وكان وقتئذ بطريرك أورشليم دايبارتوس فرغب في أن يستولى على المملكة مع البطريركية فلم يرتض الشعب بذلك فكتب إلى بوهيموند ملك إنطاكية (من الملوك الصليبيين) طالباً مساعدته بذلك فلم يجب طلبه أما رجال الدولة فاستحسنوا أن يولوا على أورشليم بودوين سلطان الرها (أورفه) شقيق غودافروا وعندما طلبوا إليه ذلك أجاب طلبهم وأتى بأربعمئة فارس وألف ماشٍ وتملك أورشليم سنة ١١٠٠ ميلادية.

وسنة ١١٠٤ ميلادية زحف الملك بودوين الأول بجيوشه لفتح عكا بالاتفاق مع قواد آخرين من الصليبيين الذين كان تحت أمرهم سبعون مركباً فأتوها بمراكبهم وشددوا الحصار فدام عشرين يوماً ثم سلمت المدينة فرجع الملك بودوين إلى عاصمة مملكته .

وسنة ١١١٠ ميلادية ذهب بودوين الأول ملك القدس لأخذ بيروت
فحاصرها خمسة وسبعين يوماً فسلمت له فأستولى عليها ورجع إلى كرسى
مملكته .

وسنة ١١١٨ ميلادية بينما كان بودوين الأول مشغلاً بالحروب
والفتوحات وكان قد ساق عساكره إلى نواحي عريش مصر اعتراه مرض
عضال ولما شعر بقرب نهاية أيامه طلب من قواده أن يدفنوه بعد موته في
كنيسة القيامة بقرب ضريح أخيه فكان كذلك وقد حزن على فقده جميع
رعاياه وتولى بعده بودوين الثاني ملك أورفه .

وسنة ١١٢٠ ميلادية إذ حدثت وقائع بين ملك إنطاكية وبين الجيوش
الإسلامية كتب ملك إنطاكية يستدعى ملك القدس لمعاونته فحضر ومعه أمير
أورفه وأمير طرابلس وقد جرت بين الفريقين معركة دموية كان النصر بها
للصليبيين بواسطة الملك بودوين الذى رجع إلى أورشليم بعد هذا الانتصار .

وسنة ١١٢٣ ميلادية بلغه أن جيوش المسلمين حاربت أورفه وأخذت
أميرها أسيراً فنهض برجاله لانقاذه من الاسر لما وصل بينما كان يعزى سكانها
على ما جرى لهم أحاطت الجيوش الإسلامية به وأخذوه أسيراً وأرسلوه إلى
قلعة بين النهرين وسجنوه مع أمير أورفه .

ولما بلغ عساكر المسلمين أسر ملك أورشليم استغنموا الفرصة
لاستخلاص فلسطين من الصليبيين فوجهوا فرقتين من جنودهم لأخذ يافا

الواحدة من جهة البحر والأخرى من جهة البر . أما الصليبيون فكانوا قد أقاموا نائباً لملك أورشليم أوسطاكيوس دواغرين والى صيدا فقصد محاربتهم في يافا وأتاهم من صيدا بجيش عددع ثلاثة آلاف وبعد حروب انتصر الصليبيون وتم ذلك سنة ١١٢٤ ميلادية.

وفي هذه السنة أتت نجدة من جمهورية البندقية مؤلفة من واحد وعشرين مراكباً وبعض العساكر المشاة تحت أمرة الدوق ميخائيل فلما وصل الدوق المذكور إلى نواحي عكا أرسى السفن هناك وسار إلى أورشليم فأستقبله أهلها بمزيد الإكرام ثم أنه صار عقد مجلس مركب من ملك أورشليم ونائبها والدوق ميخائيل وأمير طبريا وغيرهما من الأمراء بخصوص حصار مدينة صور فتم ذلك وذهبوا إلى الحرب وبعد حصار دام أكثر من خمسة أشهر استولوا على المدينة ولما بلغ أورشليم ذلك زينت أبنيتها علامة لسرورها .

أما بودوين الثانى ملك أورشليم فإذا بلغه انتصار الصليبيين فرح فرحاً لا يوصف وخاطب أسريه بأمر فدية يوصلها إليهم فقبلوا بذلك وأطلقوه فلما خرج من الأسر جمع جانباً من العساكر وأقام عدة حروب في طريقة فاز ببعضها وأنكسر البعض الآخر ثم وصل إلى أورشليم .

وسنة ١١٣١ ميلادية توفى بودوين الثانى وإذ لم يكن له ذكر أوصى قبل موته بتاج ملك أورشليم لفلوكس دو أنجو الذى كان قد زوجه بأبنته

وكان هذا الأمير من الذين أتوا أولاً مع غودافروا . فبعد أن دفن الملك في قبر الملوك توج صهره ملكاً على أورشليم .

أما الملك فولكس فلم تحدث في أيامه حروب كثيرة كغيره غير أنه في سنة ١١٤٣ ميلادية حاصر مدينة بانياس وأمتلكها بعد حصار عدة أيام وبعد ذلك بمدة بينما كان سائراً في سهول عكا سقط عن فرسه ومات وملك بعده ابنه الأكبر بودوين الثالث الذي لم يكن له من العمر سوى ثلاث عشرة سنة فتولى بودوين الثالث سنة ١١٤٤ ميلادية.

وسنة ١١٤٥ ميلادية إذ كان قد بلغ سن الأربع عشرة لبس تاج أبيه وتقلد سيفه وجردته أمام عساكره وسار بها إلى ما وراء الأردن وهناك أقام حرباً عظيمة أنتصر بها وأستولى على وادي موسى ورجع إلى أورشليم ظافراً .

ولما رأى بودوين أنه فاز بالغلبة على أعدائه قصد الذهاب إلى امتلاك بصرى^(١) في رأس حوزان فذهب بجيوشه غير أنه إذ لم ينجح رجع عنها مكسوراً إلى أورشليم .

وسنة ١١٤٨ ميلادية إذ كان كونراد الثالث ملك جرمانيا ولويس السابع ملك فرنسا آتين بجيوشهما لمساعدة الصليبيين التقتهم جيوش المسلمين في الطريق وأهلكت جانباً من رجالهم فترلوا في السفن وتوجهوا على القدس

(١) ضم الباء (بصرى) بلدة في سوريا دخلها النبي محمد عليه الصلاة والسلام لتجارة .

وانضموا على اللاتين الذين كانوا هناك ومنها ذهبوا مع ملك القدس بودوين الثالث إلى دمشق للاستيلاء عليها وكان والى دمشق يومئذٍ وقائد جيوشها الأمير أيوب مقدم الدولة الأيوبية وأول رجالها وبعد أن وصلوا إليها أقاموا عليها الحصار ونصبوا على أبراجها المجانق والآلات ونازلوها مدة طويلة بدون نتيجة ولما يئسوا من استخلاصها انكفوا عنها راجعين إلى أورشليم .

وسنة ١١٥٣ ميلادية زحف بودوين الثالث لحصار مدينة عسقلان فأخذها بعد حصار طويل وبعد ذلك ذهب لانطاكية فمرض فيها ولما اشتد مرضه أمر أن ينقل إلى طرابلس شام ثم إلى بيروت ومات فيها سنة ١١٦٢ ميلادية فنقل جسمه على أورشليم ودفن في كنيسة القيامة مع ملوك الصليبيين.

وإذ لم يكن له ولد ملك بعده أخوه أمورى الذى كان متوالياً على عسقلان ويافا فتتوج بعد مقاومات كثيرة لعدم أهليته للأرتقاء إلى مركز كهذا ولما تولى شرع في حروب كثيرة في سورية ومصر وكان تارة ينتصر وطوراً ينكسر وتوفي سنة ١١٧٤ ميلادية وتولى الملك بعده ابنه بودوين الرابع وله من العمر ثلاث عشرة سنة وقد بلى بالبرص فلقبه المؤرخون بالملك الأبرص ولسبب مرضه أقام وكيلاً عنه رايكوند أمير طرابلس غير أنه عندما بلغه هجوم السلطان صلاح الدين الأيوبي على مدينة عسقلان جهز جيشاً وسار لمحاربته وبعد حروب شديدة فاز بودوين الرابع بالغلبة وذلك سنة ١١٨٨ ميلادية وبعد ذلك فقد هذا الملك نظره . وحينئذٍ سلم مملكته إلى لوزيانا زوج أخته

سيسبلاً إذ كان غير أهلٍ لذلك عزلهُ الملك وسلم المملكة لرايموند أمير طرابلس وبعد ذلك بقليل تزل هذا السلطان عن ملكه لابن أخته الذي لم يكن له من العمر سوى خمس سنوات وهكذا صعد على كرسى ملك أورشليم سنة ١١٨٥ ميلادية وسبى بودوين الخامس سنة ١١٨٧ ميلادية توفى بودوين الرابع وفي هذه السنة توفى بودوين الخامس أيضاً وبعد وفاته تزوجت أمه سيسبلاً بغوى دولوزيانا وكان رجل ذميم الأخلاق قبيح السيرة إلا أنه كان جميل الصورة فجعلته ملكاً على أورشليم فساء هذا الأمر في أعين جميع العظماء ورؤساء الصليبيين فنفر أكثرهم وخلعوا طاعته ومن جملتهم الكونت ريموند الذي إذ لم يحصل على التاج الملكي خان ابناء وطنه وكاتب الأعداء سراً منهضاً همتهم على الحرب وافتتاح البلاد .

وفي تلك السنة أى سنة ١١٨٧ ميلادية قدم صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر لمحاربة الصليبيين وأحاط بمدينة طبريا وحينئذ وافاه ملك القدس بجيوش كثيرة للمدافعة والمحاماة عن تلك المدينة لأنها كانت لهم من أهم مراكز البلاد وهناك بعد حرب دامت نحو يومين كاميلين ومعركة دموية دارت الدائرة على الصليبيين فقفلوا راجعين إلى القدس بعد أن قتل منهم ثلاثون ألف رجل وعند نهاية الحرب قتل صلاح الدين ٢٣٠ رجلاً من أعيان الأفرنج وقد أسر ملك أورشليم أيضاً .

وبعد هذه الحادثة بنحو ثلاثة أشهر زحف صلاح الدين بجيوشه على القدس ولم يكن فيها أكثر من ١٠٠ ألف نفس والملكة التي لم تستطيع الثبات

أكثر من أسبوعين إذ كانت أفكارها مضطربة لأسر زوجها فسلمت بشروط صار الاتفاق عليها وهي أن جميع الأفرنج يخرجون من المدينة ويرحلون بعيالهم وأموالهم وتكون لهم الحماية فيصلون آمنين إلى سواحل سورية أو مصر وأن كلاً من الأهالي يدفع للسلطان صلاح الدين مبلغاً معلوماً فدية عن حياته والذي لا يدفع يبقى كعبدٍ وأسير غير أن صلاح الدين أظهر من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه فأطلق ٣٠٠٠ رجل بدون فدية وأظهر للملكة كثيراً من الرقة والطف وكان يعزيها بكلامه وبدموعه معاً ووزع كثيراً من الإحسان على الفقراء والأرامل وإيتام القتلى وسمح للمتولين أمر المستشفيات بأن يبقوا مدة سنة أخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعتناء بهم .

فخرج المنفيون من أورشليم وكانوا تائهين في أراضى سورية في حالة يرثى لها يلتمسون لأنفسهم المعونة والمساعدة وكثيراً ما كان نفس المسيحيين يطردهم .

وسنة ١١٩١ ميلادية عزم ريكاردوس ملك الإنكليز على حصار عسقلان ولما أشرف عليها وافاه الملك صلاح الدين بثلاثمائة ألف مقاتل وانتشبت بينهما حروب هائلة لم يسمع بمثلها من قبل وكانت الدائرة على عساكر صلاح الدين فأنهزموا بعد مقتلة شديدة فقد بها من جيوش صلاح الدين نحو أربعين ألف جندي من شجعان العساكر وفاز الملك ريكاردوس بالنصر وأستولى على عسقلان وباقي مدن اليهودية أما الملك صلاح الدين

فالتجأ إلى مدينة القدس وحصن قلاعها وأبراجها وملاها بالعساكر والجنود
وتوقفت الحرب لسبب فصل الشتاء .

وفي بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيوشه على القدس التي كانت
مبتغاة الأقصى فهاج الأهل وأعتراهم الرعب عند قدوم هذا الجبار فحاصر
المدينة وشيق عليها ثم رجع عنها إذ صادف صعوبات كثيرة وكانت عساكره
قد ضجرت من الحروب .

وفي أثناء ذلك زحف صلاح الدين من القدس بستين ألف مقاتل
لاستخلاص مدينة يافا وعندما أوشك أن يفتحها وافاه ريكاردوس فحاربته
وهزمه .

وبعد ذلك جرت مفاوضات بشأن الصلح بين الملك صلاح الدين
وريكاردوس وأول شرط طلبه ريكاردوس تسليم القدس وفلسطين وترجيع
خشبة الصليب فرفض صلاح الدين هذا الطلب ولم يسمح بتسليم فلسطين
وصار الاتفاق على عمل هدنة ثلاث سنوات في أثناء هذه يسمح للمسيحيين
بأن يزوروا القدس في أي وقت أرادوا بدون معارضة ولا دفع جزية وبعد أتمام
هذه المعادة رجع ريكاردوس إلى أوروبا وبعد ذلك بمدة قليلة توفي صلاح
الدين وتولى الأمر أخوه سيف الدين وغد كانت أروشليم في يد المسلمين
تسمى عليها أربعة ملوك وهم كادى لاسكنان وهنرى الثانى وأمورى لاسكنان
ويوحنا بريان ولم نذكر عنهم شيئاً هنا لعدم أهمية ما أجروه في أورشليم.

وسنة ١٢٢٨ ميلادية إذ كانت تجهزت حملة سادسة من الصليبيين تحت قيادة فريدريكوس الثاني ملك المانيا وكان في تلك المدة قلاقل بين المسلمين وأمرائهم والمتقدمين فيهم اضطر الملك الكامل ناصر الدين بن سيف الدين الذي كان كرسية في مصر أن يعقد معاهدة مع الملك فريدريكس المذكور فأرسل يستدعيه إليه واعدأ إياه بأعطاء اورشليم فنهض فريدريكوس بأربعين ألف مقاتل إلى عكا ومنها إلى القدس بدون أن يعارضة أحد وبعد ذلك عقد عهوداً بينه وبين المسلمين وهي أن القدس ويافا وبيت لحم والناصره وما يجاورهما يكونون في أيدي المسيحيين فتم ذلك ولكن عامة الصليبيين لم يسروا بأعمال فريدريكوس لأنهم كانوا يحسبونه محروماً من قبل الكرسي الروماني لأنه كان قد جرت اختلافات بينه وبين البابا ولذلك رفضوا طاعته وتمنع بطريرك اللاتين عن حضور تتويجه ولذلك مد فريدريكوس يده وأخذ التاج عن قبر السيد المسيح ووضعه على راسه فكان تتويجه في سنة ١٢٢٩ ميلادية وبعد مدة عاد إلى بلاده .

وسنة ١٢٤٠ ميلادية إذ كان المسلمون قد نقضوا الشروط التي عقدها ملك جرامانيا والملك ناصر الدين وكان قد تجرد جيش صليبي سابع مؤلف من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الأمراء قبل ذلك بنحو سنة قام قائد فرقة انكليزية وهو الأمير كورتوال وعزم على إقامة حرب عظيمة ليستخلص البلاد من المسلمين وإذا كان يومئذ السلطان مشغلاً في حرب أخيه في دمشق عقد صلحاً مع الأمير المشار إليه وأعطاه القدس وبيروت والناصره وبيت لحم وجبل تابور وقسماً كبيراً من الأراضي المجاورة وتم ذلك سنة ١٢٤٣ ميلادية.

وبينما كان الصليبيون فى ارغد عيش باسترجاع تلك الاراضى دهمتهم
مصيبة لم تخطر لهم ببال وهى ظهور جنكيزخان الذى أقام الحرب بين طوائف
العرب والتتر والعجم فأقلق بغاراته البلاد وأنهزمت الشعوب من أمامه ومن
جملتهم شعوب خوارزم الذين أحاطوا بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا بأهلها
ونهبوا بيت المقدس وقتلوا كثيرين من الآلكيوس فى كنيسة القبر المقدس
واستولوا على المدينة وبقيت أورشليم فى حكم الخوارزميين إلى سنة ١٢٤٧
ميلادية حيث قدم الملك المظفر سلطان مصر^(١) من ملوك الدولة الأيوبية
وطردهم إلى تخومهم الكائنة على شطوط بحر الخرز .



(١) هو الظاهر بيبرس بعد قتله القائد قطـز .

الفصل التاسع عشر

حالة أورشليم

بعد انقراض الدولة الأيوبية وإستيلاء الجراكسة

والتتر عليها إلى الفتح العثماني



وبعد ذلك انقرضت الدولة الأيوبية وأصبحت القدس مع غيرها بيد الدولة الجركسية إحدى فروع الدولة التركية وكانت قد انحطت عن قوتها وضعفت فلم يعد يحدث فيها شيء يستحق الذكر وكانت بداية الدولة الجركسية سنة ١٣٥٠ ميلادية وحكمت إلى سنة ١٥١٧ ميلادية وكانت أورشليم خاضعة لملوك مصر الجراكسة أي المماليك الأولين .

وسنة ١٤٠٠ ميلادية قدم تيمور لنك المغولي واستولى على سورية وغيرها خاضعة لدولة المماليك إلى سنة ١٥١٧ ميلادية كما ذكر .



الفصل العشرون

أورشليم من خضوعها لسلطين

آل عثمان العظام إلى هذا الزمان



وفي هذه السنة: استفتح السلطان سليم الثاني ابن السلطان بيازيد
العثماني بلاد سورية ودخلت القدس في حكم سلاطين آل عثمان ولم تنزل
خاضعة مع سورية للدولة العلية .

وقد مر السلطان سليم في القدس وزار قبور الأنبياء ورأى الآثار
القديمة وبقي سائراً في طريقه على مصر وقد خلف السلطان سليم الأول
السلطان سليمان وهو الذي بنى أسوارها الحاضرة وفتح فيها أربعة أبواب
لكل جهة باباً .

وسنة ١٨١١ ميلادية احترقت كنيسة القيامة وتجدد بناؤها في
السنة الثانية.

وسنة ١٨٣١ ميلادية أتى إبراهيم باشا بن محمد علي باشا عزيز
مصر وحاصر عكا التي كان واليها حينئذ تملك قسماً كبيراً من سورية
فدخلت القدس في حكمه سنة ١٨٣٢ ميلادية.

وسنة ١٨٤٠ ميلادية استرجعتها الدولة العلية من إبراهيم باشا بعد عدة حروب وقد اتحدت مع الدولة العلية على رفع الحكومة المصرية دول أوروبية.

وسنة ١٨٥١ ميلادية جرى في هذه المدينة بعض أسباب جعلت سبباً للحرب العظيمة التي جرت بين الدولة العلية والمسكوب وذلك أنه كان يوجد اختلافات مزمنة بين الروم واللاتين بسبب كنيسة القيامة وبعض الأماكن المقدسة فكانت كل من الطائفتين تدعى لداها حق الرياسة والتقدم على الأخرى باستلام مفاتيحها وإذا كانت روسيا قد جعلت الشرق مطمح نظرها استغنت هذه الفرصة لمحاربة الدولة العلية فأشهرت الحرب المعروفة بحرب القرم .

وبعد أن استرجعت الدولة العلية سورية من الحكومة المصرية سنة ١٨٤٠ ميلادية كانت تارة تجعل القدس تابعة لولاية صيدا وطوراً تجعل المتصرفية مرتبطة رأساً بالباب العالي وكان كثيرون من أصحاب الدعاوى التي لا تحل حلاً موافقاً يستأنفونها إلى بيروت التي صارت مركزاً لولاية صيدا بعد سنة ١٨٦٠ ميلادية أقام الباب العالي والياً في دمشق وصارت القدس متصرفية تابعة لولاية سورية التي مركزها الشام فأما كانت لواء كلاً من بيروت ولة متصرف وبعد سنة ١٨٧٠ ميلادية تعلق رأساً بالباب العالي .

وسنة ١٨٧٣ ميلادية صدر أمر من الباب العالي بإرسال كيرلس بطريرك الروم الأرثوذكس من القدس إلى الأستانة العلية تحت الحفظ وسبب ذلك هو أنه عندما دعى إلى الأستانة للمباحثة مع البطريرك المسكوني

القسطنطينى والبطريك الإسكندرى والبطريك الأنطاكى بشأن البلغار الذين كانوا قد وقعوا تحت حرم البطريك المسكونى تمنع عن تقرير انشقاقهم عن الكنيسة الأرثوذكسية كبقية البطارقة وبعد أن رجع إلى مقر كرسيه بمدة صدر ذلك الأمر بفصله عن وظيفته وإرساله إلى الأستانة تحت الحفظ فتوجه إليها وسكن جزيرة كرنكبو ولا يزال منفصلاً إلى الآن. وبعد ذهابه من القدس أقام المجمع الأورشليمى بالنيابة عنه نيافة بروكوبوس مطران غزة وفى أثناء ذلك حدثت اختلافات كثيرة بين خدمة الدين والأهالى من الروم الذين كان أكثرهم متحزبين للبطريك السابق . ثم أقامه ذلك المجمع بطريكاً أصيلاً وصدر أمر الباب العالى بتثيته ولا يزال غبطته متقلداً منصب البطريكية إلى الآن .

ومن نحو ثلاث سنين أجهدت السيدة كانتز الانكليزية بجلب ماء برك سليمان إلى هذه المدينة ولم تفز بالمرغوب فجددت الطلب فى هذه السنة ووجهت طلبها إلى الباب العالى رأساً فأجاب بقبول ذلك وارسل الأوامر اللازمة بهذا الشأن إلى متصرف القدس وقد تخمنت المصاريف فبلغت نحو ٣٥ ألف ليرة استرلينية وقد تعدلت المصاريف السنوية فبلغت ستين ألف غرش تكفلت طوائف المدينة بتقديمها ، فدير الروم يدفع ١٠ آلاف ودير اللاتين ٣٥٠٠ ودير الأرمن ٣٥٠٠ والحمامات عشرين ألف غرش والباقى تدفعه الجوامع والطائفة الإسرائيلية وقد تقرر ذلك وقد قيل أنه سيصير الشروع فى جلبها فى الربيع القادم .



الفصل الحادى والعشرون

وصف حالة أورشليم الحاضرة



فهذا تاريخ أورشليم المدينة العظيمة التى كانت مطمحاً لنظر ملوك الدنيا ومولداً ومدفنأً لأنبياء كثيرين ومهلكاً لألوف ألوف من العساكر الآشورية والبابلية والمصرية واليونانية والرومانية والتترية والعربية والإفرنجية بأجناسها المختلفة فكم قهرت ممالك وكم من ممالك قد قهرتها . وإذ قد انتهينا من تاريخها نجعل الختام وصف حالتها الحاضرة فنقول :

أن عدد سكان هذه المدينة الآن هو نحو ٣٥ ألف نفس وفيها كثير من الأبنية العظيمة اشهرها بناء أن إحداهما جامع الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الحرم الشريف بنى حيث كان هيكل سليمان فى جبل المريا وداخله الصخرة التى يقال إن إبراهيم الخليل أب الأباء أتى بابنه إسحق ليقدمه ذبيحة لله عليها والثانى كنيسة القيامة أسستها الملكة هيلانة وداخلها أماكن كثيرة متسعة لكثير من طوائف النصارى فكنيسة نصف الدنيا مختصة بطائفة الروم أما القبر المقدس فهو للجميع بالاشتراك وحيث جلد المسيح مختص باللاتين فقط والجلجلة للروم واللاتين وغير أماكن لغيرهم واشهر أبنية المدينة الحديثة فى خارج البناية المسكوبية وهى كنسية ودير للرهبان الروسين وهى عظمة البناء من أجمل الأماكن الحديثة فى القدس ولها أرض متسعة محاطة بسور

من كل الجهات موقعها في غربي المدينة وبقرها بركة مأملة المعروفة في التوار
بركة النبي حزقيا العليا ويوجد أيضاً مدرسة للشماسات البروسانيات للبنات
وأسمها (طاليتا قومي) ومدرسة أخرى للصبيان وتعرف بمدرسة أيتام سورية
ومستشفى داخل المدينة وهذا أيضاً للبروسانيين الأنجلييين.

وفيها أيضاً : كنيسة متقنة البناء للأنكليز الأسقفيين وأسقفها المطران
صموئيل كوبت وله أيضاً مدرسة للصبيان في جبل صهيون وعن قريب
سيتم بناء كنيسة للأنجلييين بمساعدة القس أوغسطس كلين وهذه على
نسق الأولى إلا أنها أصغر قليلاً منها .

وفي جنوبي المدينة جبل صهيون وفيه كنيسة حبس المسيح وهذه
الكنيسة بيد الأرمن وفيها محلات متسعة لقبول الزائرين وفيها مقام داود النبي
عليه السلام والمغارة التي دفن فيها وفي هذه الجهة مقابر لطوائف النصارى
وغلى الجهة الجنوبية من ذلك بركة السلطان المعروفة بالتوار بركة حزقيا
السفلى ووادي ابن هنوم ودير أبي طور وحقل الفخاري وهناك قناة الماء التي
توصل ماء برك سليمان إلى الحرم الشريف .

وفي شرقي المدينة باب ستي مريم وبركة حجي ملاصقة به وبالقرب من
ذلك تلة صغيرة من حجارة يقال أنه هناك رجم استفانوس وعن بعد بعض
خطوات كنيسة ستي مريم وبستان الجسمانية ووادي قدرون وطنطور فرعون

المعروف بالتجارة (نصب ابشالوم) وبالقرب منه قبور اليهود وقرية سلوام وبركة سلوام وبئر أيوب .

وفي المدينة مطبعة للروم وهي المعروفة بمطبعة القبر المقدس ومدرسة المصلبة للطائفة المذكورة وهذه خارج المدينة وهي مدرسة عالية يعلمون فيها علوماً كثيرة مع عدة لغات وداخل المدينة مطبعة عظيمة للأرمن اليعقوبيين وكنيسة ومدرسة مار يعقوب أيضاً لتلك الطائفة . ومدرستان الواحدة للصبيان والأخرى للبنات اللاتين ومدارس وأماكن أخرى عديدة لا حاجة لذكرها .



الخاتمة

بيان أسماء أورشليم وبعض ملوكها وحكامها والدول التي تولت عليها

تسمت : -

اولاً : سـالـيـم .

ثانياً : يـيـوس .

ثالثاً : أورشليم .

رابعاً : إيليا .

خامساً : بيت المقدس .

سادساً : القدس الشريف .

وقد خضعت هذه المدينة لدول كثيرة كما ترى :

اولاً : ملكيصادق

ثانياً : اليبوسيين

ثالثاً : الإسرائيليين

رابعاً : ملوك يهوذا

خامساً : ملوك آشور

سادساً : ملوك بابل

سابعاً : فراعنة مصر

ثامناً : ملوك اليونان

| | | |
|----------|---|-------------------|
| تاسعاً | : | ملوك المكابيين |
| عاشراً | : | ملوك الرومان |
| حادى عشر | : | أكاسرة العجم |
| ثانى عشر | : | الخلفاء الأمويين |
| ثالث عشر | : | الخلفاء العباسيين |
| رابع عشر | : | الدولة الفاطمية |
| خامس عشر | : | الدولة السلجوقية |
| سادس عشر | : | الصلبيين |
| سابع عشر | : | الأيوبيين |
| ثامن عشر | : | التر |
| تاسع عشر | : | الدولة العثمانية |

ومايتى أسماء بعض الملوك الذين ملكوا فيها وبعض حكامها والدول

التي تولتها : -

مليكصادق

أدوني صادق فى عصر يشوع من ملوك الأمم

ملوك إسرائيل

داود النبى

سليمان الحكيم

ملوك يهوذا

رحبعام بن سليمان

ابيام بن رحبعام

آسا بن ابيام

يهو شافاط بن آسا

ياهو بن يهو شافاط

يهوا حازين بن يهورام

عثليا أم اخزيا

امصيا بن يواش

عزيا بن امصيا

يوثام بن عزريا

احاز بن يوثام

حزقيا بن احاز

منسى بن حزقيا

آمون بن منسى

يوشيا بن أمون

يهوا حاز بن يوشيا

يهو ياقيم بن يوشيا

صدقيا بن يوشيا

زر بابل بن شالتيئيل

عزرا الكاهن

وفي أيامه خضعت اورشليم لملوك آشور.

وفي أيامه خضعت اورشليم لملوك بابل.

نحميا بن حكليا

بعد نحميا كان الأحبار يتولون الكهنوت والأحكام معاً إلى أن خضعت
لإسكندر المكدوني وبذلك الوقت خضعت لدولة اليونان.

بطليموس لاجوس دولة البطالسة

أنتغونوس أحد قواد إسكندر من ملوك اليونان

ديمترىوس بن انتيغونوس

بطليموس لا جوس دولة البطالسة

سلوقس الغالب أول الدولة السلوقية

أنتوخوس سوتير

أنتيوخوس ثيوس

سلوخس ثيوس

يلوخس كيروتوس

أنتيوخوس الكبير

سلوخس فيلوباتر

أنتيوخوس ابيفانوس

رؤساء يهوذا المكابيون وقد خضعوا أحياناً لليونان

متاثيا

يهوذا ابنه

يوناثان أخو يهوذا

سمعان أخو يهوذا أيضاً

هركانوس الأول ابن سمعان

ملوك المكابين وقد خضعوا أحياناً لليونان وللرومان

أرسطوبولوس

إسكندر جانيوس أخو أرسطوبولوس

الكسندرة امرأته

هركانوس الثاني ابن جانيوس

أرسطوبولوس الثاني ابن جانيوس

هركانوس الثاني أيضاً

أنثغونوس بن أرسطوبولوس الثاني

ملوك وولاة من قبل الرومانيين

هيرودس الكبير الأدومي

أرخلاوس ابنه

بوبليوس وهو روماني

ولاة آخرون رومانيون

بيلاطس البنطي وهو روماني

اغريباس وهو ابن هيرودس

فاروس وهو روماني

طيباريوس

كومانوس وهو روماني

فيلكس وهو روماني

فستوس وهو روماني

ملوك رومانيسون

تيطس بن وسيسيانس

الإمبراطور اديانوس

الإمبراطور قسطنطين

الإمبراطور يولييان

جوستنيان الأول

كسرى الثاني

ملك العجم

الإمبراطور هرقل

روماني

يزيد بن ابي سفيان

من الخلفاء الأمويين

خلفاء بني العباس

بنو طولون

من قبل بني العباس

الدولة الفاطمية

الدولة السلجوقية

وفي أيام هذه الدولة أخذ الصليبيون المدينة وما يأتي أسماء ملوكهم : -

كودافروا دوبولون

بودوين الأول

بودوين الثاني

فولكس دوانجة

بدوين الثالث

أمورى

بودوين الرابع

بودوين الخامس

غوى دولوزنيانا

سيسبلاً الملكة

كادى لاسكنان

هنرى الثانى

أمورى (من لاسكنان)

يوحنا بريان

الإمبراطور فريدريكس الثانى

الأيوبيين سلاطين مصر

السلجوقيون أيضاً

الدولة العلية العثمانية

السلطان سليم الأول

السلطان الأعظم والحقان الأفخم السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز

خان الملك الحالى.

أما متصرفية القدس الآن فهى بيد صاحب السعادة كامل باشا

متصرف بيروت سابقاً



فهرست

| رقم الصفحة | الموضوع | م |
|------------|---|---|
| ٣ | مقدمه الناشر | ١ |
| ٥ | مُهَيِّدٌ | ٢ |
| ٦ | مُقَدِّمَةٌ | ٣ |
| ٨ | الفصل الأول | ٤ |
| | يحتوى على مدة دخول إبراهيم الخليل أورشليم ودخول الإسرائيليين إليها تحت قيادة يشوع بن نون إلى مُلك داود | |
| ١١ | الفصل الثانى | ٥ |
| | يحتوى على مدة ملك داود وسليمان أبنيه وكما جرى لهما من الحوادث والحروب فى أورشليم | |
| ١٥ | الفصل الثالث | ٦ |
| | حالة أورشليم من ملك رحبعام إلى ملك حزقيا | |

فهرس

| رقم الصفحة | الموضوع | م |
|------------|--|----|
| | الفصل الرابع | ٧ |
| ١٩ | حالة أورشليم | |
| | في مدة حروبها مع ملوك آشور وتسلطهم عليها | |
| | الفصل الخامس | ٨ |
| ٢٢ | حالة أورشليم | |
| | في مدة حروبها مع ملوك بابل ودخلوها | |
| | تحت سلطنتهم وتسلط ملوك مادي وفارس عليها | |
| | الفصل السادس | ٩ |
| ٢٦ | حالة أورشليم | |
| | في مدة تسلط إسكندر الكبير عليها | |
| | الفصل السابع | ١٠ |
| ٢٧ | حالة أورشليم بعد موت إسكندر وتسلط ملوك الدولة السلوقية | |
| | عليها وتسلط الدولة البطليموسية أحياناً عليها | |

فهرس

رقم الصفحة

الموضوع

م

الفصل الثامن

٣٦

أورشليم مدة تولى يهوذا عليها من قبل أفطروا اتحاداً مع الروم ثم محاربة

أباهم وغلبتهم على أورشليم تارة وإنكسارهم أخرى عن يد

رؤساء

المكابيين وملوكهم إلى ملك هيرودس الكبير

الفصل التاسع

٤٨

حالة أورشليم

في مدة تسلط هيرودس الكبير عليها

الفصل العاشر

٦١

فيما أجرى السيد المسيح في أورشليم

وما جرى له فيها مدة ترده إليها

الفصل الحادي عشر

٦٦

حالة أورشليم

في عند موت هيرودس الكبير وخلافة ابنه أرخلاوس

فهرس

| رقم الصفحة | الموضوع | م |
|------------|--|----|
| | الفصل الثانى عشر | ١٥ |
| ٦٩ | حالة أورشليم | |
| | مدة تولى بىلاطس البنطى عليها وتولى غيره من الولاة الرومانيين | |
| | ولاة الجليل الذين هم من نسل هيرودس الكبير | |
| | الفصل الثالث عشر | ١٦ |
| ٧٨ | حالة أورشليم | |
| | فى ابتداء دخول وسبسيانس الرومانى إليها | |
| | الفصل الرابع عشر | ١٧ |
| ٨٢ | حالة أورشليم | |
| | فى حصار تيطس وحروبها الداخلية | |
| | الفصل الخامس عشر | ١٨ |
| ٩٨ | حالة أورشليم بعد أن خربها تيطس إلى تولى | |
| | الإمبراطور رادريانوس وخرابه إياها تماماً | |

فهرس

رقم الصفحة

الموضوع

٢٥

الفصل السادس عشر

١٩

١٠٠

حالة أورشليم فى مدة تولى الإمبراطور قسطنطين وإيتان أمه إليها
وبنائها كنيسة القيامة وتسليط الإمبراطور أن يوليان وجستيان وتولى

العجم والعرب على المدينة واسترجاع هرقل إياها

الفصل السابع عشر

٢٠

١٠٣

إرسال أبو عبيدة سبعة أمراء لفتح أورشليم وتسليمها

لعمر بن الخطاب وبناء الحرم الشريف واستيلاء

الدولة الأموية ودول لعباسيين والطولونيين والفاطمين

والسلجوقيين عليها إلى دخول الصليبيين

الفصل الثامن عشر

٢١

١١٠

حالة أورشليم فى حصار الصليبيين واستيلاؤهم

عليها إلى أن طردهم الملك صلاح الدين الإيوبي

فهرس

رقم الصفحة

الموضوع

٢٢

الفصل التاسع عشر

٢٢

١٢٢

حالة أورشليم

بعد انقراض الدولة الأيوبية واستيلاء الجراكسة

والتتر عليها إلى الفتح العثماني

الفصل العشرون

٢٣

١٢٣

أورشليم من خضوعها لسلطين

آل عثمان العظام إلى هذا الزمان

الفصل الحادي والعشرون

٢٤

١٢٦

وصف حالة أورشليم الحاضرة

١٢٩

الخاتمة

٢٥

١٣٦

الفهرس

٢٦

| | |
|---------------------|----------------|
| ٢٠٠١ / ٢٩٠٧ | رقم الايداع |
| 977 - 341 - 020 - X | الترقيم الدولي |

٥١١ - سلام

٥١٢ - سلام

٥١٣ - سلام

٥١٤ - سلام

٥١٥ - سلام



Bibliotheca Alexandrina



0352897

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧